مذاهب وشخصيات

رودولف هيس

مبعوث بلا دعوة

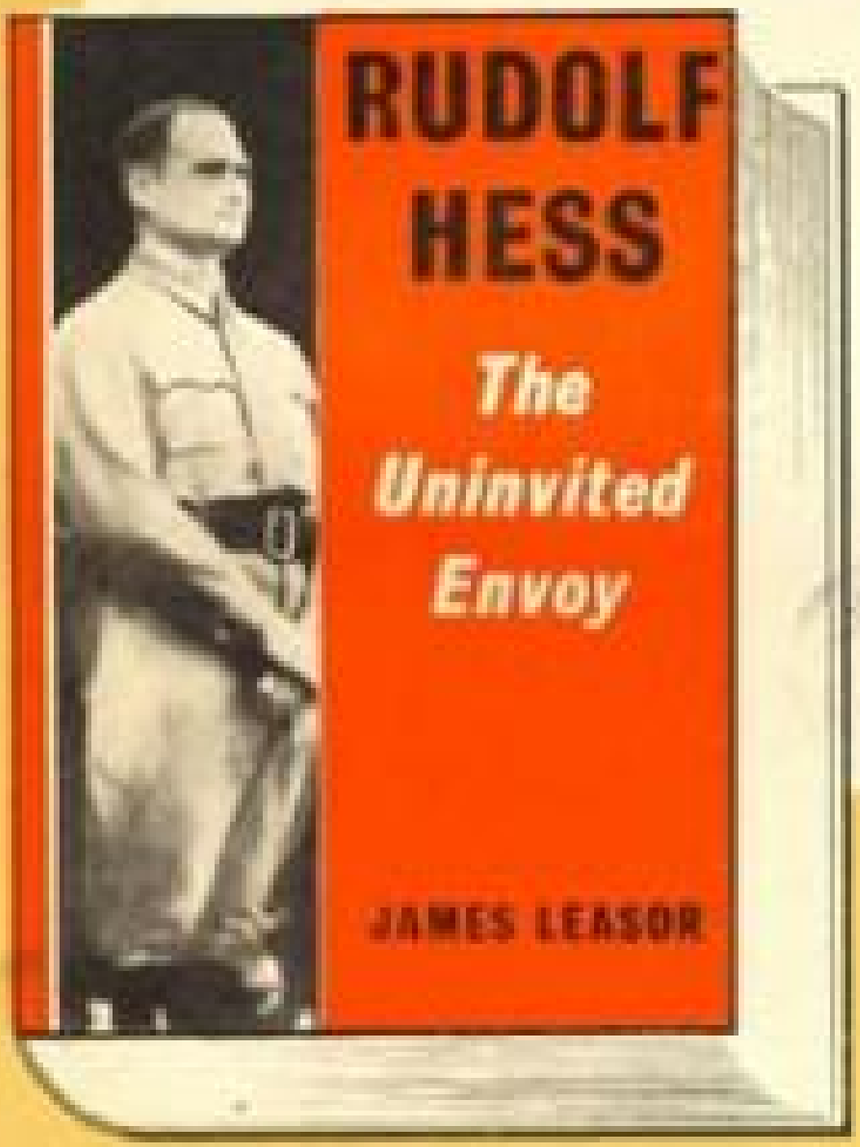

بقلم: جيمس ليسور
ترجمة: زينب عبد العزيز مصطفى
مراجعة: محمد فتوحي

مذاهب وشخصيات

رُودولفْ هَيسْ

"مبعوث بلا دعوة"

بقلم هيمس ليسور

ترجمة زينب عبد العزيز مصطفى

مراجعة محمد فوزي

تحياتي للجميع

znar reve

الفصل الأول
طائرة تتحطم فوق سكوتلندا

على جهاز الرادار بغرفة المراقبة مرور طائرة مجهولة عبر بحر الشمال ، وآتيا من طراز م ا / ١١٠ « ME 110 » وتطير بسرعة ١٨٠ ميلا في الساعة متجهة الى الغـــرب ، وما كان لطائرة من هذا الطراز ان تاتى من مكان بعيد مثـــل المانيا حاملة الوقـــود الكافى لعودتها ثانية . ولكن الرحلة لم تكن عادية والطائرة لن تعود ابدا .

لقد طارت مثل السهم الاسود في بعثتها الغريبة السرية وكان ذلك مساء السبت الموافق ١٠ مايو سنة ١٩٤١ ، وكان الطيار الذى يقـــودها يحمل معه خططا لاقرار الســـلم . خططا كان من الممكن ان تغير وجه التاريخ ومستقبل أمم وملايين من البشر لم يولدوا بعد .

انه رودلف هيس Rudolf Hess نائب الفوهرر في المانيـــــا زعيم الحزب النازى ووزير الرايخ الالمانى وعضو مجلس الوزراء السرى فى المانيا ، وعضو مجلس الدفاع فى بلاده .

وكان هذا الرجل دون كل الآخرين من اقرب المقـــربين الى هتلر اكثر من عشرين عاما وكان دائما موضع سره ويعرف ما يدور فى ذهنه من آراء .

وكان طيارا ممتازا ، اشترك فى الحرب العالمية الاولى ، وقد سبق له ان استعد لرحلة طيران منفردا عبر المحيط الاطلنطى ، والآن يطير وحده فى طائرة غير مسلحة فى ليـــل كله نار وحطام ، فى أخطر رحلة بالطائرة قام بها فى حياته .

كان يحمل خططا لانهاء الحرب أو لامتدادها . كان اقتراحه لغزا وطلاسم حيرت جميع الافراد القلائل الذين عرفوا بها ، كان لغزا اجابته مخيفة ، ولو قدر لخطته النجاح لأصبحت روسيا تابعة لالمانيا . ولظل ماوتسى تونج مجرد ضابط صينى يقول عنه رؤساؤه لقد حارب بشجاعة ضد اليابانيين . وما كان للستار الحـديدى كما هـو معروف الآن ان يوجد، وما وجدت ايضا أمم كثيرة تخلصت من قبضة الحكم الامبراطورى أو من تبعيتها لدول اخرى عن طـــريق مساعدة الشيوعيين أو تحت ضغطهم . ولظلت احـــلام نهرو ونكروما وسوكارنو وغيرهم بأن يكونوا رؤساء وقادة لبـــلادهم مجرد احـــلام لا اكثر . ولظلت المانيا بدلا من تقسيمها الى شطرين تكون قوة عظيمة لا يمكن لاى امة اخرى ان تقف معها على قدم المســـاواة ، ولكان لزعماء النـــازى وسفراء المانيا ورجال الاعمال بها الكلمة العليا فى المسائل السياسية والاقتصادية والمحاكمـــات

العسكرية فى بلاد كثيرة . أما بريطانيا فكانت تبقى من ناحية المظهر الخارجى امبراطورية عظيمة لم تتاثربالحوادث التىمرت بها ولم تمزقها الافكار الوطنية التى انتشرت بين مستعمراتها ولكن يتفشى فيها الفساد والاضطراب مما يؤثر على قوتها وهيبتها ويجعلها تعتمد اعتمادا كليا على النازى للاحتفاظ بنفوذها .

وبالرغم من كل هذا فان الكثيرين فى بريطانيا كانوا مستعدين للترحيب بالسلام الذى يعرضه «هيس» لقد كان هذا العرض يعنى نهاية الحرب ، وكان هذا فى حد ذاته كافيا فى نظر الكثيرين الذين عانوا من التشديد وضرب القنابل لقبول هذا العرض . والمستقبل كفيل بتدبير باقى الامور .

ويغلب على الظن ان هيس كان النازى الوحيد الذى رفعت الكلفة بينه وبين هتلر فكان يناديه بأنت لا بسيادتكم ، كما كان الحال مع الآخرين . اذ كانا صديقين مدة أكثر من عشرين عاما . وعندما كانا مسجونين معا فى قلعة لاندسبرج Landsberg فى بداية الحلقة الثالثة من القرن العشرين كتب هتلر مؤلفه كفاحى على الآلة الكاتبة التى كانت بمكتب حاكم السجن . وقد اضاف هيس آراءه فى هذا الكتاب وصحح اخطاء الفوهرر سواء ما كان منها خاصا بتقديم الادلة والبراهين او الاخطاء الكتابية . ومنذ هذه السنين اصبح هيس صديق الفوهرر المفضل كما اصبح المع شخصية فى حزب النازى ووصل الى درجة عالية لا يمكن تصورها فى ذلك الوقت .

وكان هيس يمر فى هذه الرحلة الطائرة فوق عواصم اوروبا التاريخية ـ برلين وباريس وبراغ وفيينا واسلو ـ وكلها خاضعة للسيطرة الالمانية ، ولم يبق من دول اوروبا القديمة العظمى سوى سويسرا والسويد والبرتغال ؛ وكلها وقفت على الحياد ولم تمس بسوء ولقد سقطت الجيوش والامم والامبراطوريات أمام قسوة المانيا التى تعذر التصدى لها فى ذلك الحين ، ولم يبق سوى جزيرة واحدة صغيرة لاتزال محتفظة بكبريائها .

ان هزيمة بريطانيا امر لا شك فيه ـ لا بد ان يعلم تشرشل ذلك بالرغم من خطبه الحماسية ، ولكن لو قدر لهذه المجموعة العنيدة من الرجال وهم فوق جزيرتهم الصغيرة أن يروا هذه الحقيقة بوضوح ، وان يقدروا عمق العواطف والعلاقات التى تربط بين المانيا وانجلترا أكثر من اى بلدين آخرين ، حتى أن العائلة المالكة ببريطانيا احتفظت بلقبها الالمانى حتى سنة ١٩١٧ ـ لتبين لهم بوضوح ان الاستمرار فى القتال لا داعى له ولا سبب ، وان عودة السلام بين الدولتين ليس صعبا ـ ولكن لا بد من دفع الثمن ـ وكان غرض هيس من هذه الرحلة والهدف الذى يرمى اليه هو حمل بريطانيا على دفع هذا الثمن ـ ولكن هل كان فى مقدوره أن يقنع كلا من تشرشل ومجلس وزراء الحرب بحسن نيته واخلاصه ؟ وهل يستطيع ان يقنع تشرشل وهو الحصن العنيد الباقى فى الميدان بالموافقة على شروط المانيا اى شروط هتلر ؟

لقد تضاربت كل هـــذه الافكار فى رأسه بينما كان يقترب من الجزر البريطانية .

لا شـــك فى أن عمر هيس فى ذلك الوقت كان أكبر من أن يسمح له بالقيام بهذه الرحلة بمفرده ، فقد كان بالطائرة الكثير من العدد والآلات التى يتحتم عليه مراقبتها والتحكم فيها ، وهى مهمة كان يمكن القيام بها فى سن الشباب . ولكن مجرد التفكير فيهـــا فى سن متقدمة يكون أمرا شاقا ، فقد كان من المحتمل أن تضل الطائرة الطريق وتسقط فى البحر ، على الرغم من أن هذه الرحلة درست بعناية منذ عدة أشهر .

وكان بالطائرة ثلاث بوصلات وخريطة للرحلة موضوعة فى حقيبة على يمين هيس . وراديو متصل بثلاث محطات الاولى بباريس والثانية بكالينينجرج وتتخللها موسيقى راقصة من وقت لآخر . والثالثة بالدانمرك وهى تحت اشراف الالمان . وكان لهـــذا الراديو فائدة كبيرة لهيس اذ يستطيع عن طريق الاشارات الصادرة من المحطات الثلاث أن يحـافظ على خط سير الطائرة ويتقى تقلبات الجو واتجاه الرياح .

وهذه المعدات مضافا اليها امكان مشـــاهدة الشـــاطىء البريطانى الذى يطير بمحاذاته بسهولة ـ لدرجة أنه فى حالة نزول الطائرة قليلا فانه يستطيـــع أن يرى أمواج البـــحر وهى ترتطم على صـــخور هذا الشاطىء ـ جعلت هيس واثقا من الوصول الى الجهة التى يريدها .

وكان قد استلم فى صباح اليوم الذى قام فيه بهذه الرحلة تقريرا من جورنج وزير الطيران ببرلين عن حالة الجو . ولقـد سبب له هذا التقرير بعض القلق . اذ عندما نظر هيس الى اسفل وجدبعض السحب الصغيرة وكانها شريط بعيـــد من الجليد الرقيق ؛ بينما ورد فى هذا التقرير انه توجد على بعد ٥٠٠ متر مساحة كبيرة من السحاب الكثيف ـ وقد جال بخاطره لفترة من الوقت ان يعود ثانية ، اذ يستحيل عليه مع وجود هذا السحاب الخفيف أن يختفى من الطائرات المقاتلة التى كانت تجوب انحاء الفضاء بحثا عن الطائرات الالمانية ؛ او من المـدافع المضادة للطائرات ، ولكنه سرعان ما اقتنع بأنه لو قدر له أن ينجو من هذا المازق فمن غير المعقول الا تتحطم طائرته تماما عند محاولتها الهبوط غير المتوقع ليلا ، وحينئذ لن تبقى هذه المحاولة سرا مكتوما بينما يتطلب نجاح هذه المهمة التزام جانب السرعة والسرية التامة .

ومن أجل هـــذه الاسباب الهامة ، فانه لم يستعمل وسائل اقل خطـورة للاتصال بالحكومة البريطانيـــة ؛ وذلك عن طريق الاتصالات المحايدة العادية فى جنيف أو لشبونة ، لقد تمت محاولات من هذا السبيل وثبت فشلها وعدم فائدتها ، ومن طبيعة هذا النوع من الاتصالات أنه بطىء ومن المحتمل جدا أن يعـرف ويذاع ، واكثر من ذلك فان هيس حاول مرتين أن يطير الى بريطانيا ليقدم شروط الـسلام ، ولكنه اضطر الى الرجوع فى كل مرة ، فمرة بسبب عطل الآلات ، والاخرى لان رافـع الطيارة elevater لم يرتفع . أما هـذه المرة فلا بد أن يصل الى هدفه .

وفجاة راى هيس تحته غلالة كثيفة من السحب تغطى جزءا من الشاطىء وتعكس آخر اشعة الغروب ؛ ومن الواضح انه ما دام لايستطيع ان يرى الارض خلالها فان احدا على الارض لن يراه بالرغم من ان ازيز الطائرة قد يسمع . وعلى ذلك فقد هبط بمنتهى السرعة خلال هذه السحابة القاتمة من ارتفاع ٢٠٠٠ متر الى مايقرب من عدة مئات من الامتار فوق سطح البحر .

ومن المحتمل ، أن هذا التصرف كان سببا فى نجاته ـ أو على الاقل هكذا كان اعتقاده ـ فقد كانت خلفه ودون أن يدرى احدى الطائرات قاذفات اللهب التابعة لقوة حرس الشواطىء فى رحلة استكشافية ، ومما قاله فى هذه المناسبة .. لقد كنت بعيدا عنها قبل ان اعرف بوجودها ، فلم اكن أستطيع النظر الى الخلف وكنت قابعا فى (كبينتى) مع افكارى وتاملاتى ، ولو لم اقم بعملية انقضاض سريعة وبقيت فى ذلك المكان المكشوف الذى ما كنت متجها اليه لاستطاعت الطائرة أن تصيبنى .

ومن تحت هذا السحاب الابيض استطاع هيس ان يرى قرية بمبانيها من الجرانيت والحجارة ، كما راى بعض الشوارع الخالية والناس يروحون ويجيئون من والى منازلهم ، كالنمل الصغير ، انها بلفورد مدينة صغيرة على بعد حوالى خمسة أميال من الشاطىء وحوالى تسعين ميلا من الوجهة التى يقصدها .

ونظر هيس فى الساعة الذهبية التى كانت بمعصمه ، والمثبت بها لوحة رقيقة من الذهب منقوش عليها ما يدل على شخصيته ، وكانت معه آلة تصوير (لايكا) وهى الخاصة بزوجته ، معلقة بشريط جلدى فى رقبته ، لقد ترك مذكرة صغيرة لزوجته يشرح فيها سبب أخذها(١)؛ فقد كانت آلته خالية من الافلام ؛ وكان الوقت قبل العاشرة بقليل ، وكانت الشمس تميل للغروب ومع ذلك لم تظلم الدنيا تماما ، وامكنه ان يرى البلد تحته بوضوح وقد حيره ذلك ، فانه تبعا للتقرير الذى معه ، كان المفروض ان يطير الآن فى ظلام دامس لقد كانت الخطة ان يصل الى الجهة التى يقصدها ، وهى على بعد حوالى عشرة أميال غرب جلاسجو بعد حلول الظلام مباشرة ، حيث يكون من الصعب تمييز العلامات الالمانية على الطائرة ورؤية الطائرة نفسها .

لم يتوقع اى بريطانى ان يرى طائرة من طراز مرشميت ١١٠- فوق اسكوتلندا ، فمن المعروف تماما ان مثل هذا النوع من الطائرات لا يمكن تزويده بالوقود الكافى للقيام بمثل هذه الرحلة والعودة الى قواعده ثانية .

ولكن هيس أغفل نقطة واحدة فى غاية الاهمية ، فلم يأخذ فى الحسبان ان التوقيت الصيفى فى المانيا يقضى بتأخير الساعة ستين دقيقة ، بينما هو فى انجلترا يقضى بتأخير الساعة مائة وعشرين دقيقة ، وعلى ذلك فانه يكون قد استقل الطائرة مبكرا عن الموعد المحدد بستين

---

(١) من خطاب أرسله الى زوجته .

دقيقة . ولذلك فسوف يضطر الى الهبوط على الارض وما زال ضوء النهار موجودا ، ونظرا لحالة الارتباك التى كان فيها بسبب وجود هذا الضوء فى وقت كان يعتقد انه ليل . ولانه لم يكن قد اعتاد التحكم فى سرعة طائره ذات محركات قوتها ٢٠٠٠ حصان ، فانه هبط اكثر مما كان يجب وحلق فوق شوارع وولر « Wooler » واسطح المنازل والحقول المحيطة بها ـ ولقد كتب لزوجته بعد ذلك يقول لها .. كنت استطيع ان ارى بوضوح تام على بعد عدة اميال وقد اثار ذلك دهشتى الشديدة، اذ كنت اعتقد ان الرؤية ستكون متعذرة فى ذلك الوقت ، وكنت رتبت نفسى على الا ارتفع كثيرا ، ولكنى طرت على ارتفاع لايزيد على ستةعشر قدما فوق الارض وربما اقل من ذلك فى بعض الاوقات .

وبالرغم من حالة التوتر التى كان عليها هيس فى هذه الرحلة والخوف من فشلها فانه كان سعيدا . فقد كان يقوم بعمل صعب وخطير ويؤديه على احسن وجه ـ وقد ادخلت هذه الاعتبارات السرور الى نفسه ..

وفجاة راى المنازل وهى تبتعد والارض ترتفع لتصطدم به .. اذن فقد كانت هذه تلال شيفوت « Cheviot » نقطة البداية التى ستقودنى الى المكان المقصود ، هكذا قال هيس ثم اخذ فى التحليق بطائرته عاليا حتى وجد سدا صغيرا فى سلسلة ضيقة من التلال فاتجه الى الشمال .. لم يكن فى حاجة الى خرائط او بيانات تفصيلية عن الرحلة فان الجهات التى يمر بها ، والمسافات التى يقطعها . كل هذه المعلومات كانت موجودة فى ذاكرته . فقد اعد هيس نفسه لهذه الرحلة من حوالى سنة . وكان ملما بكل الاتجاهات ، متذكرا كل علامة يمكن ان يراها على الارض . وطالما سهر الليالى فى منزله بشارع هارتهوزر فى اجمل وارقى ضواحى ميونيخ معلقا على الحائط فى نهاية سريرهخريطة ضخمة لرحلته ، وطالما تمدد على سريره عدة ساعات يقرا ويدرس هذه الخريطة ، مسلطا عليها ضوء المصباح بينما تسبح بقية الحجرة فى ظلام دامس حتى يتشبع عقله بكل التفاصيل الخاصة بها ، وفى كل ليلة وبعد ان ينتهى هيس من دراسة كل ما يتعلق بهذه الرحلة كان يقفل عينيه ويكرر بصوت مسموع الابعاد والمسافات والطريق والوقت الذى يميل وينحرف فيه الى الشمال او اليمين تبعا لسرعته ، وبعد ذلك يجذب مفكرته التى يضعها بجوار السرير ويوقد مصباح القراءة ليرى صفحاتها وفى دقائق معدودة يرسم رسما تخطيطيا لمشروع الرحلة .

ونظرا لانه قام بهذا العمل عدة مرات فى كل اسبوع ، وكثيرا ما عمل نسخا اخرى لاحدى الخرائط عندما يكتشف وجود اخطاء بها بمقارنتها بالخريطة الاصلية وكان ذلك طبعا بسبب السرعة ـ فانه عاش وهو يشعر فى بعض الاوقات بالخوف من ان يكتشف خادمه او زوجته هذه الرسوم ويفهمون خطأ انه يعد العدة لهجر الفوهرر وخيانة امته . ولهذا السبب فقد كان يتعمد ان يرسم خطوطا مبهمة للسواحل البريطانية والهولندية التى سوف يعبرها ، ويعلم النقط التى سيمر بها بحرف (X) ووجهته بحرف (Y) . ولزيادة الحيطة بدلا من أن يكتب Nordsee اى North Sea (بحر الشمال) ، فانه كتب « Oestsee » اى

Baltic (بحر البطليق) ولم يكن يتصور مطلقا أن تكتشف زوجته أحد هذه الرسوم التخطيطية التى عملت بمنتهى الدقة وأن تقرأ بطريقة مخالفة تماما لما هو مرسوم : لن يطير الى الشمال او الشرق ولكن الى الجنوب ليرى صديقه القديم المارشال بيتان بغرض تحسين العلاقات بين فرنسا والمانيا .

وطار هيس فوق كولد ستريم وبيبلز Peebles ولانارك . وفى الساعة العاشرة والنصف كان يحلق فوق قصر دانجافيل مقر دوق هاملتون رئيس وزراء سكوتلندا .

والآن تأكد هيس انه وصل الهدف المقصود . فلا يوجد فى هذه المنطقة قصر آخر بهذا الحجم . ولابد أن يكون بجانبه حقل مستو ،أو مكان يصلح لهبوط الطائرة . وطبقا لمعلوماته . فقد كان الدوق طيارا مشهورا ، وكان مع زميل له أول من طار فوق قمة جبل افرست منذ ثمانى سنوات فى سنة ١٩٣٣ .

وكان القمر يبزغ الآن . ورأى هيس بوضوح تلال دنجافيل وعلى الفور تذكر ان ارتفاعها يبلغ ٤٥٨ مترا . وفجأة ساوره الشك ، ماذا يحدث لو لم يكن هذا المكان هو المقصود ! قد يحيد عن الطريق وقد يخطىء فى حساب سرعة الريح كما اخطأ فى حساب موعد وصوله ، لذلك قرر هيس الا يحوم حول القصر بل يطير فوق الساحل الغربى ليتأكد من الطريق ثم يعود . وفعلا تأكد من صحة وجهته .وعلى ذلك قرر العودة الى قصر « دنجافيل » وقربت رحلته من نهايتها . والآن ، سوف تبدأ المرحلة الدقيقة وسوف يبدأ السعى وراء الهدف من هذه الرحلة .

ولم يكن يدرى أثناء رجوعه فوق الساحل انه يتبع خط الطيران العادى لسلاح الطيران البريطانى ، وبالرغم من أن هيس كان يعتقد بوجود مكان صالح للهبوط قرب قصر دنجافيل الا انه قرر الهبوط بالبراشوت ، أن طائرته مازالت فى القائمة السرية فى المانيا ، وفى الواقع كانت طائرة فريدة فى نوعها ، اقوى واعظم وأسرع من اى طائرة من طراز مسرشميت ، ومن الغباء أن تقع مثل هذه الطائرة فى ايدى البريطانيين بصرف النظر طبعا عن اهمية رحلته ، وكان يهدف الى النزول بالبراشوت وفى نفس الوقت يترك الطائرة لتتحطم وتحترق

وبعد انتهاء المباحثات سواء نجحت أو فشلت فسوف يبحث مسالة استعمال طائرة بريطانية للعودة الى المانيا أو على الاقل للعودة الى اى بلد محايد حيث يمكنه ان يقوم باتخاذ اجراءات العودة الى وطنه .

وكانت هذه أول مرة يقفز فيها بالمظلة « البراشوت » وربما كانت الاخيرة ايضا لان سن ٤٨ عاما يعتبر عمرا كبيرا للبدء فى مثل هذه التدريبات .

وطار على ارتفاع منخفض فوق قرية ايجلشام Eaglesham حتى وصل الى منحنى فوق دنجافيل ، ثم ارتفع عموديا حتى وصل الى ارتفاع ٢٠٠٠ متر ـ حوالى ٦٥٠٠ قدم وكان هذا أقصى ارتفاع يجرؤ

منه على القفز ، وسوف يسمح له بوقت بسيط لاصلاح اى خطأ قد يحدث أثناء هبوطه ، ونظرا لانه لا خبرة له فى القفز بالمظلة كان عليه ان يحدد موقع هبوطه بالضبط .

والآن بالرغم من حرصه الشديد ودراسته واستذكار الخطوات التى تتبع عند تنفيذ هذه المهمة مرارا وتكرارا والاستعداد لهذه اللحظه بالذات ، فان الامور بدات تتعقد . فبعد هذا الطيران الطويل المستمر اصاب آلات الطائرة الخلل فتوقفت واحده عن العمل نهائيا. اما الثانية فقد استمرت تؤدى مهمتها لمدة قليلة ثم سكتت ـ ولم يعد هيس يسمع سوى صوت الرياح ـ فراى ان تاخير ثانية واحدة قد يؤدى الى عواقب خطيرة ، فترك مقعد القيادة واستعد للقفز من الطائرة ولكن كم كانت دهشته بل فزعه عندما القى به ضغط الرياح الى مقعده ثانية . ولقد قال هيس عن هذا الحادث بعد ذلك « انه بالرغم من العناية الفائقة والجهد الذى بذلته لمعرفة كل شىء عن هذه الطائرة ، فهناك امر واحد لم أعمل له أى حساب ، فلم أسأل أحدا مطلقا عن كيفية الهبوط بالمظلة لقد كنت أظنها أمرا سهلا للغاية » .

وبعد عدة محاولات عنيفة تمكن هيس من القفز بالمظلة من طائرته. وبينما كان الهواء يدفعه الى الامام والخلف . مثل أرجوز ضخم معلق بخيوط ، شعر بالهدوء والانتعاش وهو معلق فى الهواء. أما الطائرة فقد اصطدمت بالارض بعد سقوطها وتحطمت تماما الى قطع صغيرة واشتعلت فيها النيران ، وكان هذا خير نهاية لها بعد أن أدت مهمتها .

وقد بدا ضباب الصيف الخفيف يرتفع فوق الحقول مخفيا وراءه نور القمر ، ولم يكن هناك أى ضوء أو حركة أو أى شىء ينبىء عن وجود الحياة ، وخيل اليه انه سقط فى عالم آخر من السكون والصمت. وعاد اليه الشعور بالغربة والوحشة الذى استبد به منذ دقائق فوق البحر. ولهذا السبب ، وبسبب الضباب ايضا والتعب الذى استحوذ عليه فانه لم يكن مستعدا للقاء الارض عندما جاءت مسرعة اليه .

وفجاة ارتطمت قدماه بالارض المزروعة حشائش ووقع على وجهه ، وبطريقة آلية حاول التخلص من المظلة حتى لاتجره الرياح معها، وبسبب السرعة غير المتوقعة التى تم بها هبوطه من الطائرة وشدة صدمة هذا الهبوط ، فقد مرت به لحظة سكون وسقط دون وعى على جنبه وركبتيه فى احد اركان حقل مثل رجل مخمور .

وعندما افاق نهض واقفا وكان متربا من اثر الوقوع ، وجرى العرق البارد على جبينه . وامتلأت اذناه بسكون غريب بعد صوت الآلات المزعج وازيز الرياح .

ولم يكن لدى هيس اية فكرة عن الجهة التى هو فيها .. وماذا حدث له .. ولماذا وجد فى هذا المكان ؟ .. وفى هذه اللحظة لم يتذكر حتى اسمه ـ ثم بدأ كل شىء يظهر واضحا امامه رويدا رويدا بعد قليل .

لقد وصلت الى هدفى ـ الى بداية جديدة ـ وكانت بداية أكثر مما كنت أتوقع .. وتلك كانت الكلمات التى تمتم بها هيس

الفصل الثانى
كابتن هوزن الغامض

على بعد عشرة أميال فى طريق ايجلشام Eaglsham كان اللفتينانت توم هيسلوب Tom Hyslop عائدا الى بيته فى دمبارتن Dumbarton فى سيارة البوليس السوداء وكانت بصحبته ابنته نان Nan وهى شخصية هامة فى سلاح الطيران ، وكانت عائدة الى منزلها فى اجازتها الأسبوعية.

وأثناء عودة الليفتنانت فى سيارته ترك جهاز اللاسلكى الرسمى مفتوحا حتى يتمكن من التقاط أى رسالة بوليسية عن الغارات الجوية والقنابل التى لم تنفجر بعد .

وبعد الساعة العاشرة بقليل ظهر صوت واضح خلال السكون ، لقد عبرت احدى طائرات العدو الحدود وتطير متوغلة داخل البلاد تجاه جلاسجو ، من الصعب التحقق من جنسيتها ولكن من المؤكد أنها طائرة معادية ، ومن الجائز أن تكون فى مأزق وعلى جميع قوات البوليس أن تكون على استعداد فى حالة هبوطها ، وبذلك انتهت الرسالة .

وعلى الفور أطفأ الليفتنانت نور أنوار سيارته وأوقفها على جانب الطريق ، وبدت السماء فوقها صافية وخالية من الغيوم ، وفى هذه اللحظة سمع كلاهما صوتا مزعجا غريبا ، انه صوت أزيز طائرة فى السماء ثم شاهدا الطائرة وهى تنقض بكل سرعتها كالسهم الأسود تجاه الارض وبينما كانت الطائرة فى طريقها الى الارض اذا بهيكل يسقط منها متعلقا بمظلة وبعد ذلك سمعوا صوت تحطم الطائرة على الارض .

عندئذ صرخ هيسلوب فى ابنته قائلا : هيا بنا الى السيارة مرة ثانية ، انهم الألمان بالتأكيد . لقد كان من الواضح أن الطائرة تحطمت فى مكان ما شمال طريق ايجلشام ، ورأى هيسلوب انه من المحتمل أن تكون الطائرة قد تحطمت وراء مزرعة فلورز على بعد ميل من الطريق الضيق ، فأوقف السيارة مرة ثانية وأصاخ السمع عله يسمع أى أصوات غريبة قد تعطيه ايضاحا لهذا الموضوع . وبدا كأنه يسمع صياحا ضعيفا جهة المزرعة ، ولكن الرياح زأرت بشدة فى جهاز اللاسلكى ، بدرجة لم يتمكن معها من التأكد من مكان هذه الاصوات ، وعلى أية حال لقد كان هذا هو الطريق الوحيد للوصول الى مكان الحادث ، وعلى ذلك فقد أدار محرك سيارته مرة ثانية وبدأ فى السير .

وكان يقيم فى مزرعة بهذه المنطقة المدعو فلوز دافيد ماكلين وهو رجل غزب فى منتصف الحلقة الخامسة من العمر ومعه والدته وشقيقته ، وفى

تمام الساعة الحادية عشرة الا الربع ، وبينما كان يستعد للنوم ، وعسلى وشك اطفاء نور غرفته وازاحة الستائر السوداء عن النافذة حتى يدخل هواء الصيف البارد الى الحجرة ، اذ به يسمع صـــوت طائرة تحوم فوق منزله ، وفى بداية الأمر كان صوتها مزعجا ثم خمدت الاصوات بالتدريج ولكنها عادت مرة ثانية بصورة أكثر ضوضاء ، ثم سكنت مرة واحـدة . وكان من الواضح ان شيئا قد حدث ، لقد تحطمت الطائرة .

هل هى قاذفة قنابل . ومن المحتمل ان تنفجر بمجرد ملامسة الارض. واطفأ ماكلين النور وازاح الستائر السوداء عن النافذة واختلس النظر من وراء الزجاج وفى بداية الأمر لم ير شيئا سوى الحشائش بلون الفضة فى ضوء القمر ، ولكنه سرعان ماشاهد شيئا أبيض فى السماء انه مظلة « باراشوت » تهبط من أعلى .

وبسرعة لبس ماكلين حذاءه وبنطلونه فى الظلام . وبدر على الحائط ليوقظ والدته وصاح قائلا : هناك طيار يهبط بمظلة فى الخارج واظن انه المانى ، قومى .. اننى سوف أذهب وراءه .

ثم غادر المنزل من الباب الامامى . وكان متأكدا من أن هذا الهابط بالمظلة لابد أن يكون المانيا لانه تعود من شهور سماع أصوات الطائرات البريطانية وهى تحلق فى المنطقة وأمكنه أن يتعرف على صوت هذه الطائرة الغريب وعلى ذلك فلا بد أن تكون طائرة معادية .

وبمجرد خروجه من المنزل شاهد الهابط بالمظلة يصل الى الارض والرياح تجذبه بعيدا فجرى خلفه وكان هيس قد وقع على يديه وركبتيه ويحاول التخلص من مظلته وبمجرد أن وصل اليه ماكلين كان قد تخلص منها وطارت المظلة بعيدا وزحف هيس بالم فصاح ماكلين بصوت مرتفع:

ـ من انت ، هل أنت المانى ؟

وحاول هيس الوقوف ولكنه لم يتمكن فقد التوت قدمه اليمنى اثناء الهبوط وكانت تؤلمه بشدة .

وبطريقة لا ارادية مد يديه لماكلين ليسـاعده على النهوض . ولكن هذا الأخير وقف ثابتا لا يتحرك ، واخيرا تمكن الطيار من الوقوف وأجاب :

نعم انا المانى ، أنا كابتن الفرد هورن واريد الذهاب الىقصر دنجافيل ومعى رسالة هامة الى دوق هاملتون .

وسأل ماكلين : هل يوجد آخرون فى الطائرة غيرك ؟

فهز راسه علامة النفى ، كلا لم يكن معى آخرون لقد طرت وحدى .

ـ هل انت مسلح ؟

وتحسس ماكلين جيوب هيس بيديه فلم يجد بها اية اسلحة ووقف هيس على رجل حتى يتفادى الم مفصل قدمه ورفع يديه بهدوء فوق راسه وقال :

ـ انا غير مسلح ، ليس معى مسدس .

وفي هذا الوقت ظهرت أصوات آتية من ناحية المنزل وجرى رجل آخر اليهما ، انه ويليام كريج ، وصاح :

ـ ماذا حدث ؟ .. من هناك ؟

ورد ماكلين : يوجد المانى هنا .. اذهب وادع بعض الجند .

وفي نفس الوقت قرر ماكلين ان يأخذ أسيره بعيدا عن الحقل الى مكان يوجد به ضوء .

ولم يبد الطيار الاسير أى رغبة في المقاومة أو الهروب ، ووضع هيس يده على كتف ماكلين وبدأ يقفز تجاه البوابة الخشبية ، وبعدخطوات قليلة ، توقف ونظر خلفه عبر الحقل الذى أضاءه القمر ، وتتبع ماكلين نظراته لقد كان ينظر الى البراشوت وقال :

لايمكن أن أترك هذا ؟

وتساءل ماكلين : ولم ؟

ورد بابتسامة صغيرة : انني مدين له بحياتي .

هل فى الأمر خدعة لمتخلص من ماكلين حتى يتمكن السجين من الفرار ؟ هل هو مصاب حقا في رجله ؟ لقد دارت هذه الأفكار في رأس المزارع ماكلين بينما وقف كل منهما تجاه الآخر في ضوء القمر ، وفجأة قال ماكلين :

ـ سوف أحضره لك ، لاتتحرك .

فابتسم هيس : أعدك الا أتحرك .

وجرى ماكلين وأحضر البراشوت ثم أعان نائب الفوهرر على الدخول في صالة المنزل الصغيرة وأغلق الباب وأضاء النور ، وحيا هيس بلطف والدة ماكلين وكانت تنظر اليه بدهشة واستغراب ، فقد كان من المحتمل أن يكون اول أجنبى تراه وجها لوجه ، وبالطبع أول المانى ، ولذلك فان هذا العدو يستحق المشاهدة والتأمل . لقد بدا كل شيء حوله غريبا وغير عادى : ملابسه وحذاؤه الناعم ذو الفراء ، وقفته الجامدة . وتساءلت : هل أنت المانى ؟

فرد مجاوبا : نعم انا المانى .. ثم انحنى لها محييا مرة ثانية .

وصاحت : يا الهى .. يالها من حياة ...

وكأنما عبرت بذلك عن شعورهم جميعا .

لقد كان ماكلين يعلم تماما أنه كان كاسر وكمضيف عليه واجبات تجاه ضيفه الذى لم يدعه أحد ولم يكن متوقعـــا مجيئه ، وعلى أية حال لايوجد مكان فى العالم تقوى فيه روح الضيافة أكثر من سكوتلندا فأشار الى حجرة الجلوس وقال :

ـ يستحسن أن تجلس هنا .

وانس الجميع اليها وطلب من هيس أن يجلس على أحسن مقعد فيها بينما اعلنت مسز ماكلين انها ستحضر الشاى .

ولم يقل هيس شيئا لعدة لحظات ولكنه عاد وكرر ماسبق أن قاله عندما أسره ماكلين فى الحقل : لدى رسالة عاجلة لدوق هاملتون ، ارجوك أن تأخذنى اليه فورا .

احقا رسالة لدوق هاملتون !! من هو هذا الشخص الذى يسأل عنه ، وفى مثل هذا الوقت من الليل .

ورد ماكلين قائلا : سيأتى الجند قريبا وسوف يبحثون معك هذا الموضوع ، وعلى أية حال فان مكان الدوق ليس ببعيد ، ومن المحتمل الا يكون أبعد من ١٢ ميلا .

ثم ساد الصمت ، ثم يكن دافيد ماكلين يتصور مطلقا انه قد يقبض على المانى بيده وحده . وعادت مسز ماكلين ومعها صينية الشاى وبها أغلى (فناجين) موجودة بالمنزل ، ووقف هيس عند دخول ربة البيت وهز رأسه عندما قدمت له الشاى قائلا :

ـ كلا وشكرا . انا لاأشرب الشاى فى هذا الوقت المبكر ، ولكن أرغب فى كوب ماء . فاحضرته له وشربه شاكرا . وظلوا جميعا فى أماكنهم قلقين فى انتظار وصول أى شخص يساعدهم فى القاء القبض على هيس .

والأمر الذى لم يخطر على بال أحد فى الخارج أن الطيار هيس كان موجودا فى هذا الوقت داخل هذا المنزل ، وهذا ما حدث فعلا مع نوم ميسناوب وجنود فرقة الحرس الذين أحضرهم وليم كريج من ايجلشام هاوس لقد كانوا يتخبطون فى الخارج بحثا عن الأسير ، ويتوقعون أن يواجهوا أى هجوم فى الظلام .

أما فى داخل المنزل فقد أخرج هيس صورة من جيبه الداخلى لابن طفلا صغيرا عمره حوالى ثلاث أو أربع سنوات يقف فى حديقة . وسلمه الصورة الى دافيد ماكلين الذى قدمها بدوره الى والدته .

وقال هيس : انه ابنى . لقد رأيته هذا الصباح ولا أعلم متى سأراه مرة ثانية .

وردت اليه مسز ماكلين الصورة فى سكوت فلم يكن هناك مايمكن أن يقال ، ونظر ماكلين الى هيس متفحصا ـ انه يبدو عجوزا على قيادة طائرة ، ومن المحتمل ان يكون قد قارب الخمسين ، وكان الواضح انه يجلس بهدوء واطمئنان على مقعده وبالرغم من انه كان أسيرا فما زالت تبدو عليه علامات السطوة والنفوذ :علامات تعود القاء الاوامر ، كما كانت ملابسه تبدو غالية ومن صنف ممتاز لم يره ماكلين من قبل ، وفى احدى يديه ساعة ذهبية وفى الاخرى سلسلة ذهبية بها اسطوانة تحقيق شخصيه ، ولم تكن هذه هى الملابس الرثة التى طالما سمع أن الطيارين الالمان يلبسونها . ولكن ما أثار انتباه ماكلين حقا هو هذا الحذاء الرائع

المزين بالفراء لقد بدا ناعما مثل القفاز ـ والى جانب كل هذا فانه يطلب رؤية دوق هاملتون ، ترى من يكون هذا الشخص ؟

وسأله : من انت قل لى مرة ثانية ..

ورد هيس : اننى كابتن هورن .

وفى ذلك الوقت سمعوا طرقات على الباب ودخل أحد الحراس قائلا ..

« لقد سمعت بوجود اسير هنا » وتوقف فى منتصف الجملة عندما رأى هيس وحملق فيه لحظة . اذن فهذا هو العدو ، رجل طويل تبدو عليه مظاهر السلطة ، يجلس على أحسن مقعد ، مادا رجليه ، ولم يكن ذلك مايتوقعه ، وسأل ماكلين رجال الحرس وقد بدت الدهشة عندما شاهد الحراس بدون البنادق « هل ستأخذونه من هنا ؟ » .. ترى ماذا حدث للجيش حتى يأتى الجنود للقبض على اسير المانى .. وهم غير مسلحين ؟

ونظر الجند بعضهم الى بعض . من الواضح انهم لم يضعوا فى الاعتبار مسألة نقل الاسير من هذا المكان ، ويجب عليهم الآن أن يعملوا حسابا لذلك .

ومرة ثانية سمعوا طرقا عنيفا على الباب ودخل رجلان آخران حجرة الجلوس انهما روبرت ويليمسون وهو مهندس كان فيما مضى من رجال البوليس ، والآخر مستر كلارك ، الحارس الذى يسكن بجواره وقد شعرا بالحادث وشاهدا النار مشتعلة فى حطام الطائرة وأشار عليهم البعض بالذهاب الى منزل ماكلين حيث اقتحما حجرة الجلوس ، وقال ويليمسون « لقد كنا فى غاية الاضطراب ، وكان كلارك يلوح بمسدسه باستمرار ، وبالرغم من ذلك كان هيس جالسا فى هدوء بجوار النار فى المنزل ، بينما جلست مسز ماكلين فى الجهة المقابلة له وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة متكلفة ، ولم يكن لدينا ادنى فكرة عن شخصيته ولكن كان يظهر عليه انه شخص مهم . وأول مادار فى خلدى انه كان مختلفا تماما عن هؤلاء الأوغاد الذين طالما قذفونا بالقنابل ، وحقا لم نكن ندرى ماذا نحن فاعلون . (١)

ـ وسأل ويليمسون « هل انت مسلح ؟ »

ـ وهز هيس رأسه « كلا لست مسلحا »

ـ هل معك آخرون ؟

ـ كلا لقد جئت وحيدا

ـ امن المحتمل أن تنفجر طائرتك اعنى هل يوجد بها قنابل زمنية قد تنفجر ؟

---

(١) رجل المظلات المسن بقلم ستيفن واتس ، نشرت فى نيويوركر The New Yorker فى ١٦ فبراير من سنة ١٩٥٧

ـ كلا . لايوجد بها شيء من هذا القبيل .

وكان بالحجرة سبعة أفراد ستة رجال ومسز ماكلين ـ ويمكننا ان نتصور فيما كان يدور فى أذهانهم .. ماذا سيحدث لاسيرهم ؟ وكان عليهم أن يقرروا مصيره الآن ؛ قد يهرب هيس اذا حاولوا نقله الى مكان آخر ـ ولكن الى اين يذهبون به ؟ ومع ذلك فقد كان واضحا انه لايمكن ان يستمر الى مالا نهاية فى منزل آل ماكلين . وأخيرا سأل ماكلين ويليمسون بصراحة « ماذا أنتم فاعلون به ؟ هل ستأخذونه الى قسم البوليس ؟

وأجاب ويليمسون : كلا ـ انه مكان غير صالح وقال ماكلين موجها سؤاله للجنود : أتأخذونه الى معسكركم ؟ فهزوا رءوسهم علامة النفى قائلين انه من المستحيل عليهم ان يأخذوا اسيرا المانيا . يظهر انه ضابط ذو مركز كبير ـ الى مكان توجد به قوات بريطانية تقع على عاتقها مسئولية ضخمة ، حتى لا يعرف احد شيئا عن طبيعة عملهم ونشاطهم ولم يكن هذا بالطبع سببا مقبولا ، وعلى ذلك فقد اكتفوا بالصمت ولم يقولوا شيئا .

وعندئذ قال الحارس كلارك : انا أقول لكم ماذا نفعل . سنأخذه الى مركز الحرس فى بسبى Busby.

وسر الجميع من هذا الاقتراح لانه يزيح المسئولية عن عاتقهم ، ولانه من ناحية أخرى كان اقتراحا وجيها .

واشار ويليمسون الى هيس قائلا : يستحسن ان تأتى معنا .. ووقف هيس ثم انحنى محييا مسز ماكلين وابنها « انى اشكركما كليكما »

وخرج ويليمسون يتبعه هيس ثم كلارك الذى وضع مسدسه فى ظهر هيس وتبعهم بقية الجند .

وقد وصف هيس هذا الحادث لزوجته فى أحد خطاباته فقال : لم اكن راضيا عن هذه المعاملة ولا عن الطريقة التى قادونى بها . وما حدث لى لم يكن مشجعا بالمرة . ووصف لها وصول كلارك وويليمسون ومغادرته المكان معهما ، لقد ظهر ضابط يقود جماعة من الجند كان يبدو عليه بوضوح من رائحته التى أشمها أنه كان يحتفل فى ليلة السبت بشرب الوسكى الاسكتلندى ، ومن الجائز ان تكون قد صدمته أخبار هبوط رجل مظلات المانى فى هذا المكان ـ وعلى اية حال فقد وقف مترنحا وسط سحابة من رائحة المواد الكحولية ، وكان يقودنى وقد وضع مسدسه فى ظهرى ولم يفارق اصبعه زناد المسدس ، وبينما كنت استمع الى شخيره شعرت ان يد الله كانت معنا لتحول بين يده المرتعشة وبين الطلقة الوشيكة الانطلاق .

وصعدوا جميعا الى عربة ويليمسون وكان هيس فى المقدمة وخلفه كلارك وبدأت العربة فى المسير فى طريق فلورز

وفى هذه اللحظة كانت مربه هيسلوب تنهب الارض نهبا ومرت بجوارهم ولم يدر بخلدهم أن يوقفوها . وعندما وصل الى المزرعة علم أن الطيار الالمانى قد غادرها منذ دقائق

وبحاسة رجل البوليس المحترف اراد أن يرى أكثر ما يمكن عن مكان الحادث فترك ابنته جالسة فى السيارة وذهب ليبحث عن الطائرة ويفحصها ، لقد خمدت السنة اللهب ولكن مازال الدخان يتصاعد من الآلات ، وحضر بعض رجال البوليس ومعهم اقنعة الوقاية من الغازات السامة ، والقى اليهم هيسلوب تعليماته .. يجب الا يقترب احد من الحطام فلم يكن ممكنا على اية حال التاكد من أن النيران لن تندلع فى حطام الطائرة مرة ثانية ، وقد يكون بالطائرة اى اشراك خداعية قد تقتل أو تشوه القرويين .

وبينما كان هيسلوب يفحص الطائرة راى شيئا اثار انتباهه ودهشته معا ، لقد شاهد فوهات المدافع الآلية السريعة الطلقات الموجودة بالطائرة مسدودة باحكام بالشحم . ومعنى ذلك ليس فقط انها لم تستعمل ابدا بل انه لم يكن فى النية استعمالها كذلك .

وعلى ذلك فظاهر تماما ان الرجل الذى قاد هذه الطائرة لم يات من المانيا فى مهمة حربية ؛ لقد طار الى بريطانيا فى مهمة سلمية .

الفصل الثالث

هيس ، هوشوفر ، هتلر

Hess, Haushofer and Hitler

جلس كل من كلارك وهيس . ووليمسون فى السيارة الانجليزية الصغيرة وهم يشعرون بالضيق ، بانه من فارق عظيم بين هذه السيارة وبين السيارة المرسيدس الفخمة التى كان يركبها هيس واخيرا وصلوا الى وجهتهم . ودخل الجميع بينما وقف هيس مادا قامته الطويلة .

وبالرغم من أنه كان أسيرا فما زال حوله جو من العظمة والسلطان . وكان يظهر عليه أنه رجل تعود اعطاء الاوامر واضطرته الظروف فجاء وعلى غير انتظار أن يتفاهم مع ضباط فى مراكز صغيرة وليست لهم اهمية . ولكن مما لا شك فيه أنه سوف يأتى شخص فى مركزه وحينئذ سوف تنتهى هذه المتاعب والمضايقات .

وعندما دخل هيس تكنات جنود فرقة الحرس البريطانى كان الجنود يستعدون للنوم وقد خلعوا ملابسهم الرسمية . وقد ضاق هذا المنظر منظر عدم النظام والاستعداد ـ كلارك فصاح فيهم وقد بوغتوا بهذه الصيحة كما فوجئوا بوجود ضابط المانى بينهم ، فاسرعوا يلبسون احذيتهم وملابسهم وحدثت فوضى وارتدى البعض ملابس لا تخصه ونظر وليمسون الى هيس فرآه واقفا على باب الحجرة وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة . وقد قال وليمسون يصف هذه الحالة « لقد كان هيس مستغرقا فى التفكير لا يمكن حدوث مثل هذه الفوضى فى المانيا . لقد كنت أشعر بالخجل ، ولكن لا ، لن يمكن توجيه اللوم الى احد

وبسرعة فائقة أتم الجنود ارتداء ملابسهم الرسمية واصطفوا خارج الابواب ليمنعوا الزوار الفضوليين من الدخول وليجولوا دون اية محاولة لهروب هيس .

واشار كلارك الى احدى الحجرات وأمر هيس « ادخل هنا .

واختفت الابتسامة من على وجه هيس وشد قامته قائلا بجفاء « انا ضابط المانى » فرفع كلارك مسدسه فى وجهه صائحا « سوف تدخل هنا عندما تؤمر بذلك » .

وفتح وليمسون باب الحجرة ودخلها هيس وكانت جدرانها بيضاء وارضها قذرة ولا يوجد بها منضدة او كراسى او حتى صندوق يمكن الجلوس عليه .

ونظر هيس الى هذا المكان الكئيب ، ثم تمدد فوق الارض واخذ يتفرس فى اللمبة الصفراء التى تضىء الحجرة .

وظن الحراس الذين يختلسون النظر اليه من الباب المفتوح انه قد يكون فى سبات أو غيبوبة ، وقد أدهش هذا التصرف الاطباء ، والاطباء النفسانيين الذين فحصوه فيما بعد كما حير حراسه فى نورمبرج وسباندو انهم لم يعرفوا أبدا ان هيس كان يمارس احدى تمرينات اليوجا للاسترخاء . فقد كان هيس فى أيام طفولته يقيم فى الاسكندرية مع والده الذى كان تاجرا فى هذه المدينة ، وكثيرا ما كان يلاحظ رجال البدو قبل استعدادهم للقيام برحلة بالجمال عبر الصحراء . كانوا يتمددون على الرمال الدافئة ، ويرخون عضلاتهم ولا يفكرون فى أى شىء ، وبعد دقائق قليلة يقومون وقد استعادوا نشاطهم .

وتعلم هيس منهم سر هذه العملية . وطالما استعملها بعد ذلك عند اجتماعه مع الناس . فقد كان كثيرا ما يذهب الى حجرة خالية قبل عقد الاجتماع بساعة حيث يتمدد على احدى الارائك ويرخى عضلاته حتى يستعيد نشاطه وحيويته .

وقد تأثر احد الحراس عندما شاهد هيس ممددا على الارض وشعر بالعطف عليه واسرع الى زجاجة لبن كان المفروض ان يشربها هو وقدمها لهيس الذى تأثر كثيرا من هـذا التصرف وكتب لزوجته عن مدى تأثره ، ويصف هذا الجندى الذى لا يعرفه بانه شخص لطيف حقا .

وفى هذه اللحظة وصل هيستوب ووقف هيس وانحنى بوقار له ولضباط سلاح الطيران البريطانى الذين اتوا معه . ورفع يده فوق رأسه مستسلما بينما بدءوا فى تفتيشه . ووضع الحراس كل ماكان مع هيس على منضدة جاءوا به الى الحجرة .

وكان مع هيس ظرف معدنى ضخم فوق هاميلتون وحقنة تحت الجلد ، وصندوق فى حجم علبة سجاير سمع خمسين سيجارة . به انواع مختلفة من الادوية . كان احدها اكسيرا قيل عنه انه من عند رهبان اللاما فى التبت ، وانه للعلاج من الام المرارة . كما وجدوا ايضا أنواعا مختلفة من الفيتامينات واقراص الجوليكوز والادوية المخدرة . وكذلك ساعته الذهبية وآلة التصوير . وصورا كثيرة له مع ابنه ولف رودبجر البالغ من العمر اربع سنوات وفى احدى هذه الصـور ظهر الطفل مع والدته الزاهيس Ilse Hess وكان مع هيس ايضا بطاقتا زيارته . احداهما باسم البروفسـور كارل هوشوفر والاخرى منقوش عليها اسم ابنه البرخت Albrecht .

ـ واستجوبه احد الضباط « ما اسمك »

ـ واجاب هيس « الفرد هورن »

ـ ما سنك

ـ سبعة وأربعون عاما

وقد كتب بعد ذلك احد الاطباء الذين فابموه ، انه كان يعتقد أن ادعاءه اسم الفرد هورن مع وجود فارق السن بينه وبين هيس يدل على منتهى الحيطة والذكاء .

ولكن هذا القول لم يكن صحيحا فان هيس انتحل اسم الفرد من اخيه الأصغر واسم هورن من الزوج الثانى لحماته . وهو فنان مشهور فى المانيا ، ومادعاه الى اختيار هذه الاسماء المستعارة الا لانها تبدا بنفس الحروف التى يبدا بها اسمه الحقيقى ، فاذا كانت معه امتعة عليها الحرف H ، فان الامر يكون طبيعيا .

اما لماذا لم ينقل هيس سنه الحقيقى . فان ذلك لم يكن اعتباطا بل لسبب قوى ففى القوات المسلحة الالمانية لا يمكن لاى فرد يتعدى السابعة والاربعين أن يرقى برتبة كابتن . ولو أن هيس ذكر سنه الحقيقى وهو ٤٨ سنه فقد يسأله احد ضباط المخابرات ـ البريطانيين كيف يمكن التوفيق بين سنه ورتبته . ولم يفكر فى اختيار رتبة أعلى لان هذه الرتبة كانت أعلى درجة وصل اليها أثناء الحرب العالمية الأولى .

وبعد فترة وصلت عربة حربية ونقل فيها هيس وبعض الضباط الى ثكنات مارى هيل فى جلا سجو .

واشتكى هيس من أن رسغه الايمن يسبب له ألما شديدا . وكان من المستحيل على أى شخص أن يكتشف اذا ما كانت العظمة مكسورة أو انه مجرد التواء دون أن يجرى عليه فحص دقيق . وعلى ذلك فقد نقل من الثكنات الى المستشفى العسكرى فى قصر بوخانان فى ذرايمن على بعد ١٨ ميلا من جلا سجو . وطوال هذا الوقت ما فتئ هيس يصر على مقابلة دوق هاملتون ، فقد كان ذلك فى نظره أمرا بالغ الأهمية أهم من العلاج .

ولنرجع ثانية الى بسباى Bushy حيث اعتقل هيس أول الامر . فقد ظهر رد فعل اعتقال هذا الالمانى بين الجنود والضباط . وقال احدهم فجاة لقائد جناح السلاح الجوى البريطانى بعد أن تبين له ان هذا الوجه مألوف لديه .

« اتعلم يا سيدى انني أعتقد أن هذا الرجل هو رودلف هيس . نائب هتلر لقد رايته فى المانيا ، وكلما فكرت فى هذا الامر ازددت اقتناعا بانه هيس » .

فأظهر قائد الجناح ازدراءه وقال له باختصار لا تكن أحمق .

أى نوع من الرجال رودلف هيس ـ لماذا وصل فجاة كمبعوث بدون دعوة ولم يعلن عن وجوده فى مساء هذا السبت ؟

لقد كان هيس معروفا فى ذلك الوقت بانه رجل هتلر المخلص الامين محبوبا فى المانيا لشخصه وشخصيته . وكان يتميز بالصفات البافارية العالية فهو شجاع وقوى البنية ، ويحب بيته وابنه ، وكان مخلصا للفوهرر الى أقصى الدرجات ويحب شرب البيرة . وأهم من ذلك

كله انه كان من اقدم اصدقاء هتلر ، واحد مؤسسى الحزب الاصليين ، وكان رقمه فى الحزب ١٦ فى حين كان رقم هتلر ٧ وقد ولد هيس خارج المانيا كما كان الحال مع روزينبج وهتلر فقد ولد «أى هيس» فى مصر وتعلم فى مدرسة المانية فى الاسكندرية لمدة ست سنوات . وعندما بلغ عمره ١٢ سنة أرسله والده الى

Evangelischer Paedogogium in Godeberg-am-Rheim

وكان يرغب فى ارساله الى جامعة أوكسفورد ولكن نشوب الحرب العالمية الأولى لم يمكنه من ذلك . وتطوع هيس وخدم مع هتلر فى الفرقة الأولى المشاه لاحتياطى بافاريا ١٦

ولكنهما لم يتقابلا الا بعد انتهاء الحرب ،وكان هتلر عداء سريعا وتعرض للقازات الخانقة فى احد المواقع ، واصيب هيس برصاصة فى احدى رئتيه ، واصبح فيما بعد ضابطا فى السلاح الجوى الامبراطورى .

وبعد الحرب استمر فى ارتداء حلته العسكرية أثناء دراسته فى جامعة ميونخ اذ لم يكن فى مقدوره شراء بدلة مدنية وفى أثناء دراسته الجامعية كان متأثرا بشخصية استاذه البروفيسور كارل هو شوفر لدرجة كبيرة ـ وقد زاد تأثره بها فيما بعد ـ وبعد التخرج من الجامعة كتب هيس مقالا موضوعه « الرجل الذى سوف ينقذ بلدنا » ولكن فى هذا الوقت الذى ساد فيه الخراب والتضخم المالى فى المانيا ، فان الصفات التى يجب أن يتحلى بها هذا القائد المنشود غير موجودة فى احد من المعاصرين . ولو وجدت لكان فى استطاعة هيس اكتشافها .

وفى سنة ١٩٢١ سمع هتلر يلقى خطابا فى احدى المناسبات . وسرعان ما اكتشف فيه صفات الزعيم الذى تصوره فى مقاله وقال « أن هذا الرجل سوف يعيد لالمانيا عظمتها بين الامم » وقرر أن يساعده فى أداء هذا الواجب التاريخى .

والى جانب هذا الاخلاص الذى لا يتزعزع فى هتلر ، كثيرا ماكان يتملكه شعور غريب ضد روسيا ، ولهذا الشعور جذور منذ سنة ١٩١٩ ، عندما كان هيس عضوا فى جمعية صغيرة مناهضة للشيوعيين فى ميونخ . وكان يوزع نشرات وكتيبات ضد اليهود وضد الشيوعية ، وبينما كان عائدا الى مركز الجمعية رأى عربة لورى حمراء بها جميع زملائه ، فاختبأ هيس فى الظلام . أما زملاؤه فقد قتلوا جميعا بعد ذلك رميا بالرصاص .

كما كان هيس حاضرا أيضا عندما قام النيوعيون بأول محاولة جدية لهم لفض اجتماع عقده هتلر فى مشرب بيرة فى ميونخ فى نوفمبر ١٩٢١ ، وقد انتهت هذه المحاولة بالقاء أكثر من مائة شخص متهم معظمهم من الشيوعيين خارج المشرب فى الابواب والشبابيك بواسطة حوالى خمسين عضوا من النازيين ، ويقول هتلر بهذه المناسبة لقد ظهر فى هذه الحادثة اثنان احدهما اميل موريس الذى أصبح فيما بعد سائقا خاصا لهتلر ، والثانى رودلف هيس الذى تلقى على جبينه ضربة من وعاء بيرة كانت موجهة الى هتلر ، وبقيت آثارها فى وجهه .

وهذا اليوم يستحق الذكر لأنه شهد مولد قوات الصاعقة التى كانت مهمتها فى ذلك الوقت حماية مثل هذه الاجتماعات . والعمل كبوليس للحزب وأصبح رجالها فيما بعد الحرس الخاص لهتلر . والجنود الحقيقيين للنازى .

وكان هتلر يذكر هذا الحادث دائما وقد ذكره فى كتابه « كفاحى » ماكاد يبدأ اجتماعنا حتى هوجم أفراد الصاعقة وسرعان ماالقوا بانفسهم فى المعركة ، وما أكثر الذين لم أكن أعرفهم حقا حتى هذا اليوم وعلى رأسهم رودلف هيس الشجاع وسكرتيرى الحالى .

ومنذ ذلك الوقت أصبح هيس ملازما لهتلر وسكرتيره الخاص حتى سنة ١٩٣٣ وفى خلال هذه المدة كتب كثيرا من نشرات الدعاية وتمتع بثقة رئيسه المطلقة ، وزادت قوته وامتد نفوذه حتى شمل الجامعات الالمانية والمدارس كما وقعت بعض المنظمات الدينية تحت سيطرته وفى سنة ١٩٣٤ لعب دورا هاما فى ابعاد كابتن رويم الذى كان زميلا لهتلر ثم منافسا له ـ وقد كان من بين الذين أعدموا فيما بعد ، وفى السنة التالية وقع على قانون ضد اليهود كان له تأثير كبير فى النظام النازى خلال السنوات الأخيرة من الحرب ، وفى هذه السنة أيضا أعلن هتلر أنه كلف هيس بالاشتراك فى سن القوانين والقوانين فى كل ادارات الحكومة وأن يختص بكل أمور الحزب ، ومنذ ذلك التاريخ اشترك هيس فى اعداد كل قانون أصدره هتلر .

وفى سنة ١٩٣٨ أصبح هيس عضوا فى مجلس الوزراء السرى واشترك فى وضع خطط العدوان التى انتهت بقيام الحرب ، وعندما بدأت الحرب شغل هيس أعلى المراكز فاشترك فى مجلس الدفاع الوزارى للرايخ وكان هذا المجلس يتكون من ستة أعضاء تحت رياسة هتلر وقد تركزت فيه أعلى السلطات التشريعية والتنفيذية فى كل المانيا .

وكان هيس يخلص لهتلر اخلاصا لا حد له وحتى بعد وصوله الى سكوتلندا كان دائما يخفض من صوته باحترام عندما يشير الى الفوهرر .

ومع ذلك كان متواضعا دمث الاخلاق ووفيا لاصدقائه ومعارفه ، فزوجة البروفسور هوشوفر كانت نصف يهودية ولكنه كان يحميها من اضطهاد رجال النازى . وربما من اعتقالهم لها ـ وبطبيعة الحال لم يكن له دخل فى المذابح الرهيبة التى حدثت فى بوشنوالد Buchenwoldواشويتز Ouschwitz وغيرها . اذ كان فى بريطانيا خلال هذه السنوات البشعة .

وكان هيس يؤمن بالخرافات بدرجة كبيرة ، فعندما كانت زوجته الزا حاملا كان ينتظر بشوق وقلق المولود الجديد ، وكان يعتقد فى أسطورة المانية قديمة تقول انه اذا ظهر عدد كبير من الدبابير فى الصيف فان ذلك يعنى زيادة عدد الاطفال الذكور عن الاناث وفى عصر احد أيام هذا الصيف كان جالسا مع زوجته وسكرتيره يشربون الشاى فى حديقة منزلهم فى شارع هارتهوزر وتخبط عدد من الدبابير فى اناء من العسل

الابيض . فالتقطها هيس بعناية وغسلها من العسل ثم وضعها فى الشمس حتى تجف أجسادها ، وقد فسر سكرتيره هـذا التصرف بانه راجع الى طيبة قلبه وحنانه ، والحقيقة انه كان دليلا على ايمان هيس بالخرافات واعتقاده فيها وبالرغم من ان هيس كان يجد متعة وسرورا فى قيادة سيارته المرسيدس الفخمة ذات اللون البنى المميز ، وكان يحب الطيران ، الا أنه لم ينغمس مطلقا فى الترف والنعيم الذى كان فيه بعض النازيين الذين وجدوا انفسهم فجأة فى مراكز الصدارة ، فلم يمتلك الفيلات الفخمة ولم يسلب من المتاحف التحف الرائعة . وكانت حياته العادية هادئة بسيطة .

ولكن كل هذا يعتبر الى حد كبير فضائل سلبية ، أما شخصيته فقد كانت ضعيفة الى حد ما ، ولكنه لم يكن شريرا بصفة خاصة ولكن هل كان رجلا طيبا صالحا ؟ لقد كان يؤيد علنا كل مايقوم به هتلر من اعمال ، وفى كثير من المناسبات العامة كان يكيل للفوهرر الثناء البالغ فيه ، وفى ورمبرج قبل حلول عيد الميلاد المجيد (الكريسماس) بفترة قصيرة قال « لا يمكننا ان نحتفل بالكريسماس دون أن نتوجه بالشكر من قلوبنا الى الرب الذى أرسل للالمان الفوهرر فى هذا الوقت الذى نحتاج فيه اليه . »

وفى أول كريسماس اثناء الحرب كتب هيس خطابا مفتوحا الى أم طفل غير شرعى قتل ابوه فى خلال معركة بولند ، وقد نشرته كل الصحف الالمانية . قال فيه .

« لم نعد نهتم بالتقاليد البالية العتيقة التى ابتدعها الانسان ولا بالمبادىء الاخلاقية المصطنعة ، ان المانيا اليوم فى حاجة الى أطفال أقوياء أصحاء يحلون محل الرجال الذين نفقدهم » .

ان كل طفل غير شرعى محتاج لعناية وكذلك فنحن نشمل بعنايتنا كل الاطفال الذين يحتاجون الى هذه العناية ...

واذا ماتوفى رجل فى سبيل وطنه قبل ان يتمكن من تكوين منزل وعائلة ، فان أطفاله نتاج الحب الحقيقى سوف يلاقون كل عناية . وانى شخصيا أرحب بأن اكون والدا لكل طفل غير شرعى فقد والده بسبب الحرب .

كان هذا اعلانا عاما . أما فى حياته الخاصة فقد كانت آراؤه عن الاخلاق اكثر استقامة وصحة ، وقد كتب الى زوجته بعد ذلك يقول .

« لو ان ابنى ولف ... انجب ذرية دون أن اعلم ، أى فى غفلة منى ولم يخبرنى بذلك خوفا من غضبى فان هذا سيؤدى الى متاعب لا نهاية لها »

وكان الكثيرون من الالمان فى هذا الوقت ينظرون الى هيس على انه احسن عضو فى حزب النازى ، وبعد نشوب الحرب اصبح هتلر بالطبع اقل اهتماما بالمسائل السياسية الداخلية وقد أصبح معروفا فى الأوساط النازية أن نفوذ هيس وأهميته قد تضاءلت فى الحزب النازى

فى حين أن مارتن بورمان وكيله وخليفته فيما بعد ، كان يزداد نفوذا وقوة ، وان هيس طار الى سكوتلندا محاولا الصلح مع بريطانيا لانه اعتقد أن مثل هذا العمل الدرامى ـ لو نجح ـ سيزيد من نفوذه الآخذ فى الزوال .

وقد تكون هذه الاعتبارات لها وجاهتها . ولكنها لم تكن بالطبع السبب الرئيسى لطيرانه الى اسكتلندا .

لقد عين هتلر جورنج خليفة له . وهيس بعده فى الترتيب ولكن هيس كان أكثر اتصالا بالفوهرر لانه لم يكن مسئولا أمام الحزب بل أمام هتلر وحده .

كذلك تولى هيس ادارة الجستابو وهى جماعة تعمل التقارير عن نشاط الأفراد الذين يشغلون مناصب عالية فى ألمانيا ، وهى تشرف الى جانب ذلك على العمليات التى يقوم بها العملاء فى الخارج ومن يعطفون عن أهداف الالمان وطموحهم . كما كانت تعمل وتتعاون مع الـ Auslandorganisation أو A O التى كان ينتمى اليها البروفسور هوشوفر . وكانت هذه المنظمة تتصل بالألمان الذين يعيشون فى بلاد اجنبية وتدرس مشكلاتهم وكانت فى الواقع ستارا لنشاط المخابرات فى هذه البلاد وفى جهات أخرى .

وكان هيس شخصيا فى مركز قوى فى الحزب النازى والرايخ ، لقد كان يلى هتلر مباشرة فى القوة والعمليات الشعبية ، وفى ذلك الوقت زاد تأثير هوشوفر ـ الذى كان يحاضر فى جامعة ميونخ عندما كان هو طالبا فيها ـ عليه اكثر من قبل ، وكان عمر هوشوفر عندما طار هيس الى سكوتلندا نيفا وسبعين عاما .

وقبل الحرب العالمية الاولى كان هوشوفر ملحقا عسكريا فى السفارة الالمانية فى طوكيو وكانت لديه الجرأة على الاعتراض على تحذير كايزر ويلهلم للغرب من أن اليابان هى « الخطر الاصفر » اذ دعا الى عقد تحالف بين اليابان وألمانيا للقضاء على سيادة الانجلو ساكسون فى العالم قضاء مبرما ، وفى هذا الوقت نظر الى هذا الاقتراح على انه اقتراح سخيف وغير معقول ، ولكن هوشوفر عاش ليرى بعينيه ان اقتراحاته عن التحالف مع اليابان وعن السياسية الخارجية الالمانية أصبحت أساسا صالحا لبناء الامبراطورية النازية .

لقد كان هوشوفر رجلا بعيد النظر وكان جنرالا خلال الحرب العالمية الاولى وفى بعض الاحيان كان يرفض ، لسبب غير ظاهر ان يسافر مع رجاله فى قطار معين ويبقى لعمل ترتيبات أخرى . وعندما يطلب منه ابداء أسباب تخلفه كان يقول ان لديه شعورا داخليا بان هذا القطار سوف ينسف . ويقول هيس « وفعلا كان يحدث هذا فى كل مرة تنبأ فيها هوشوفر » .

وهذه المقدرة الروحانية اثرت فى هيس لدرجة كبيرة ، وكان هوشوفر يعتقد وهو على صواب ان جغرافية الموقع والمناخ وحتى طبيعة

التربة تلعب دورا فى التأثير على العلاقات السياسية والافعال المنعكسة بين الدول ، ولقد كان بارعا ونشيطا لدرجة مكنته من أن يرفع هذه النظرية الى مستوى الحقائق . وأصبح استاذا للجيوبولتكس فى جامعة ميونخ . وشغل ابنه الاصغر البرخت مركزا مماثلا فى برلين فقد كان استاذا للجغرافية الاقتصادية فى جامعتها ، وكان البرخت هذا اعزبا وشاعرا معروفا كما كان موسيقارا يجيد عزف مقطوعات بيتهوفن وصديقا لبعض افراد الطبقة الارستقراطية فى انجلترا وفى الوقت الذى طار فيه هيس الى بريطانيا كان عمر البرخت ثمان وثلاثين سنة أى أصغر ١٠ سنوات من نائب الفوهرر . وكثيرا ماكان يزوره فى ضيعته خارج ميونخ بعدة أميال .

ويقول الدكتور هاينز هوشوفر عن والده الدكتور هوشوفر انه كان ملكيا بافاريا من المدرسة القديمة . وبعد هزيمة الالمان سنة ١٩١٨ رأى أن عودة الملكية أصبحت أمرا مستحيلا . فعدل موقفه كرجل سياسى قديم تحت النظام النازى .

وقد قيل انه كان يرأس ادارة بها الفا موظف ما بين عالم بالطبيعات وخبير فى الاحوال الجوية ومهندس اقتصادى وكانت مهمتهم مراجعة المعلومات التى تفد الى هيس عن طريق الجواسيس والعملاء الآخرين .

ولكن لم يكن الامر كذلك . فان هوشوفر كان يدير معهد الجيوبولتيكس بمعاونة فى ذلك مساعد واحد وموظف آلة كاتبة .

وكان هوشوفر رئيسا لفترة من الزمن للاكاديمية الالمانية ولم يكن يأخذ أجرا عن عمله سوى معاشه كجنرال . وقد تمكن من الوصول الى هذه المرتبة من التقدير فى المنظمات النازية لكفاءته وأعماله العظيمة التى تستحق التسجيل . ولأن النازيين سمكوا كثيرا من سياساته بما فى ذلك Lebensraum ومذهبه « Haves have not »

ولقد ساعد ولو بطريق غير مباشر . على نشر آراء واحلام هتلر بقيادة ألمانيا لاوربا الممتدة من الاطلنطى الى جبال الاورال ، لقد كان يعتقد أنه لو تمكنت ألمانيا من هذه النطقة فان الالمان يصبحون سادة العالم

وكان هوشوفر ضد فكرة الحرب مع انجلترا وكان يعجب بكثير من الآراء الحرة التى يبديها الانجليز ، وكان يشير الى أن دماء الشعبين تأتى من أصل جرمانى واحد ، ولكنه كاستاذ فى الاكاديمية العسكرية فى ميونخ شعر بعد الحرب العالمية الأولى بقسوة معاهدة فرساى البالغة وكان من رأيه الذى أخذ يلقنه للشبان الذين يقوم بتعليمهم أن هذه المعاهدة حقرت ألمانيا فى نظر العالم ، ولذلك فان كل من يحاول تحسين مركز بلده كان يلقى تأييد هتلر وهيس والباقين .

ولقد سافر الى بلاد كثيرة ، الى الهند حيث قابل كيبلنج ، وكتب ترجمة موجزة لحياته كما سافر الى بورما والى اليابان وفرنسا وكثير من بلدان أوروبا . وقد كانت هذه الرحلات والتجارب التى استفادها منها وشعوره الداخلى سببا فى رغبته الملحة فى تفادى الحرب مع الانجليز .

وكان له دور هام وتاثير كبير أثنـــاء ازمة ميونيخ . ويذكر هاينز هوشوفر الابن أن أباه أقنع الفوهرر بهذا الاتفـــاق ، وقد عاد الاب الى مزرعته بعد توقيع الاتفاقية وقال لعائلته باتفاقية ميونخ هذه يمكن لالمانيا أن تحدد سياستها الخارجية لمدة عشر سنوات .

وفي خريف ١٩٣٨ ألح هوشوفر على هيس لترتيب مقابلة خاصة له مع هتلر وجها لوجه ويكونان وحدهما لا يستمع اليهما ثالث .

لقد عاد هوشوفر من مؤتمر لاحدى الجمعيات العلمية في روما جمعية الفولتا وكانت افريقيا هي موضوع البحث ، وتباحث مع وفـــود كل من انجلترا وفرنسا وكان يعتقد ـ سواء كان ذلك صوابا أو خطأ ، انه من الجائز أن تتمكن المانيا من ادارة بعض المناطق في هذه القارة ، وكان يفكر في الكاميرون ، وقد بلغ هتلر هذه الآراء في مكتبه في ميونخ .

وقال : « اذا ما لزمنا اتفاقية ميونخ فانني متأكد من أننا سنستفيد كثيرا ، واقترح أن تزور انجلترا زيارة خاصة » ويا سيدي الفوهرر لقد جاء تشمبرلن هنا ليراك وسوف تفسر زيارتك الى بريطانيا بانهـــا رمز للصداقة وسيعود ذلك بفائدة كبيرة على المانيا ولكنني أرجو قبل كل شيء لا تقوموا باي تحركات عسكرية في الشرق خصوصا في بولندا دون أن تحسبها أولا مع الدول الغربية .

وعند هذا الحد قام هتلر دون أن يقول كلمة واحدة واستدار على عقبيه وغادر الحجرة ، ولم يودع هوشوفر ، وقد استمر هوشوفر جالسا عدة دقائق ظانا أن الفوهرر قد يعود ، ولكنه لم يعد وكانت هذه آخر مرة يراه فيهـــا .

الفصل الرابع
آمال هوشوفر

وبالرغم من هذا اللقاء غير المشجع مع هتلر فان هوشوفر ظل مقتنعا بانه كان على صواب وان هتلر كان مخطئا . وقد حاول بعد هزيمة فرنسا استغلال نفوذه على هيس لاقناع هتلر بتقديم شروط الصلح مع بريطانيا .

وكان هتلر يريد الهجوم على روسيا — ولكن هيس وهوشوفر وجورنج حذروه عاقبة هذه المحاولة الخطيرة والقتال فى جبهتين بما لا يخرج عما ورد فى كتاب كفاحى على لسان هتلر نفسه اذ جاء به « لن تكون هنالك حرب فى جبهتين وان وجود السلام مع الدول الغربية سيحمينى عند الهجوم على روسيا » .

وقد اعترض جورنج على اقتراح هتلر فقال « ان المسألة ليست بهذه السهولة فاننا الآن نحارب امبراطورية عظيمة — منتصرا الى انجلترا — وانى اعتقد ان الولايات المتحدة ستدخل الحرب صدقا ان آجلا او عاجلا — واذا هاجمتنا روسيا فسيكون امامنا عدو بائت لا يستهان بقوته — ومعنى هذا ان نحارب العالم بمفردنا »

ولكن هتلر اظهر تبرمه وعدم اقتناعه بكلامهم . ولو انه كان فى دخيلة نفسه يرغب فى الصلح مع انجلترا لو كان هذا ممكنا حتى يركز مجهوده الحربى فى الجبهة الشرقية وحدها ولكنه لم يكن يريد ان يتخذ اى موقف ايجابى فى المراحل الأولى من المفاوضات خوفا من ان يؤدى تسرب انبائها قبل الوقت المناسب الى اضعاف الروح المعنوية فى المانيا وما ينادى به عن قوة المانيا الجبارة والقادرة على سحق العدو .

وبالرغم من هذه الاعتبارات فانه كان راغبا فى الصلح مع بريطانيا — ولكن بشروطه هو — وهذا ماكتشفه موسوليني فى يونية سنة ١٩٤٠ بعد سقوط فرنسا وعندما سافر بصحبة زوج ابنته الكونت شيانو وزير خارجيته الى ميونخ — فقد كان يريد الاستيلاء على اكبر جزء ممكن من الامبراطورية الفرنسية فى شمال افريقيا بالاضافة الى نيس وصقلية والصومال الفرنسى وتونس كما كان يريد الحصول على امتيازات أخرى

ولشد ماكانت دهشته عندما رفض هتلر اجابة اى مطلب له على حساب الفرنسيين مما قد تشجعهم على الاستمرار فى القتال ضد المانيا سواء فى شمال افريقيا او فى انجلترا .
وقد سأل شيانو روبنتروب بصراحة : اترغب المانيا الآن فى عقد

صلح أم فى متابعة الحرب (١) . فأجاب ريبنروب بكلمة واحدة «الصلح» ثم أضاف بأن بريطانيا أحيطت علما بهذه الرغبة عن طريق اتصالات خاصة فى السويد ـ ولكن لم تظهر نتيجة ايجابية بعد لهذا الاتصال مما أثار دهشة هتلر .

وفى ١٨ من يونيه ، أعلن تشرشل فى مجلس العموم أن بريطانيا وبلاد الكومنولث ، ستحارب بكل تأكيد حتى لو استمر القتال آلاف السنين .

هذا وقد وصل الى علم تشرشل ان رسالة قد وصلت من الفاتيكان عن طريق برن فى سويسرا وهى بلد محايد عن اجراء مباحثات للصلح مع المانيا ، فارسل فى يوم ٢٨ يونية كتابا الى وزير خارجيته النوتى ايدن يقول له فيه ، آمل أن توضح للقاصد البابوى ، سفير البابا ، أننا لا نرغب فى القيام بأى مباحثات أو استفسارات عن شروط صلح مع هتلر وأن كل موظفينا ممنوعون منعا باتا من الاشتراك فى مثل هذه المواضيع (٢) » وبعد خمسة أيام أى فى ٣ من يوليو ضربت البحرية البريطانية بالقنابل الاسطول الفرنسى فى وران على الساحل الشمالى لافريقيا . وكان ذلك ردا على محاولات عقد الصلح أو بمعنى آخر ان انجلترا ستستمر فى الحرب . ومع ذلك انتظر هتلر اثنى عشر يوما آملا أن تكون هذه التصريحات والاعمال الحربية تخفى وراءها أى غرض للصلح . ثم أثار هذا الموضوع فى الريخستاج وقال :

« كان يجب على مستر تشرشل ولو لمرة واحدة أن يصدقنى عندما أقنبأ له بأن امبراطوريته العظيمة سوف تتحطم تلك الامبراطورية التى لم افكر مطلقا فى تحطيمها أو حتى الاضرار بها » .

« وانني أشعر أن من واجبى أمام ضميرى أن أناشد العقل والحكمة فى بريطانيا العظمى وانا أعتبر نفسى فى مركز استطيع أن أوجه منه هذا النداء ، اذ أننى لست الشخص المهزوم الذى يمد يده طالبا الاحسان ولكنى المنتصر الذى يتكلم بصوت العقل ، والذى يرى انه لا يوجد اى سبب لاستمرار الحرب (٣) » .

ولقد كتب تشرشل فيما بعد (٤) سيشعر هتلر بسرور عظيم بعد اخضاعه أوروبا لسيطرته ولانهاء الحرب عن طريق قبول بريطانيا

---

(١) أوراق شيانو الدبلوماسية ـ الناشر ما لكوم ماجريدج صفحات ٢٧٢ ـ ٢٧٥ Ciano's Dyplomatic Papers ـ انظر ايضا هتلر ، دراسة فى الطغيان ـ المؤلف الآن بالوك ـ أودهامز ٥٤١ .
Hitler, Study in Tyranny, by Alan Bullack Odhams, P. 541

(٢) مقتبسة من كتاب الحرب العالمية الثانية جزء ٢ تاليف تشرشل

(٣) خطب هتلر فى ١٩٢٢ الى ١٩٤٣ My New order (Hitler's Speeches 1922-43)

(٤) الحرب العالمية الثانية الجزء الثانى .

ما فعله . وفى الحقيقة كان هذا عرضا ليس للسلم ولكن لقبول الامر الواقع .

أما فى المانيا فما زال هوشوفر يأمل فى اجراء مباحثات صلح مرضية . وقد تبادل الرسائل مع هيس وقابله عدة مرات لمناقشة موضوع اجتماع عقد صلح مع بريطانيا . واقترح عدة اسماء يمكن البدء بالاتصال بها . وفى محاولة أخيرة عقد اجتماع شخصى على أرض محايدة مع صديقه الحميم الانجليزى دوق هاملتون الصغير وهو دائما على صلة طيبة مع الاشخاص المهمين فى لندن حتى تشرشل والملك .

ولقد جرت عدة محاولات للاتصال ببعض ذوى النفوذ فى بريطانيا لاجراء الصلح ولكنها فشلت كلها وبالطبع كان هتلر على علم بها وازداد غضبه لفشلها ومرت الاسابيع والشهور ولم يصل أى رد من بريطانيا فى حين ازدادت الحاجة لاجراء مثل هذا الصلح .

وقد أخبر هوشوفر هيس ان دوق هاملتون شخصية محبوبة وهو يتناول عادة عشاءه كل مساء مع الملك ، وانه يستمع لآرائه بصفة خاصة .

وزيادة على ذلك فانه قال لهيس أنه حلم ثلاثة أحلام فى ثلاث ليال متتالية رأى فيها هيس يقود طيارة الى مكان مجهول ولكنه هام ، وفى حلم آخر رأى هيس يسير فى قلعة عظيمة معلق على جدرانها سجاجيد فخمة ، ونظرا لاعتقاد هيس فى تنبؤات هوشوفر خلال ٢٤ عاما فان هذا الحديث كان له تأثير قوى عليه خصوصا وان دوق هاملتون كان أول دوق سكوتلندى .

وعندما راجع هيس نفسه . رأى أن هناك حالة حرب بين انجلترا والمانيا تحملت فيها الاولى خسائر جمة تزيد عما تحملته الثانية بكثير وشعر بأن بريطانيا لن تسلم بشروط هتلر بدون أن تفقد الكثير من هيبتها ، وعندئذ قال لنفسه ان هذه هى اللحظة التى يقوم فيها بتحقيق هذه الرسالة وانه اذا وصل الى انجلترا فانذلك يهيىء الفرصة لبريطانيا للدخول فى مباحثات دون أن تفقد هيبتها . سيطير بنفسه الى بريطانيا ويقابل دوق هاملتون ويطلب منه مقابلة أهم شخصين فى بريطانيا بل فى الامبراطورية كلها وينستون تشرشل والملك جورج السادس .

الفصل الخامس
هيس تستعير طائرة من طراز مسرشميت

بعد رحلة هيس الى بريطانيا وبعد انتهاء الساعات التى حددها لمساعدة بنتش طلب الاخير مقابلة هتلر وسلمه الرسالة التى تركها له هيس شارحا مهمته .

بعد ذلك ألقى القبض على بنتش وحددت اقامته وقد اعلنه بذلك بورمان ، بعد أن تناول الكل الغداء على مائدة هتلر يوم الاحد التالى لطيران هيس ، وقد حاول بورمان التملص من هذا العمل ولم يكن ذلك سهلا فقد أشار اليه الفوهرر بما يجب عمله . وفهم الاخير الاوامر وخرج من حجرة الغذاء وعاد بعد هنيهة ومعه اثنان من الحراس وصاح بصوت واضح « كارلهيز بينتش » انت مقبوض عليك حتى تشكل محكمة لمحاكمتك بخصوص ما حدث اليوم ـ يحيا هتلر .

واذعن بينتش للاوامر وحاول أن يبتسم وهو سائر امام الحراس . ولم يكن يعرف أن هذا هو آخر يوم له كرجل حر . ولا لما ابتسم اطلاقا . ولقد أطلق سراحه سنة ١٩٤٤ ليخدم فى الجبهة الشرقية ـ ولكن الروس القوا القبض عليه خلال أسابيع قليلة .

فقد أخبر الروس أحد الجنود ـ ممن سبق أن عاقبهم بنتش لبعض الاخطاء أثناء الخدمة معه ـ انه كان مساعدا لهيس ، فصمم هؤلاء على معرفة أسرار هذه الرحلة فضربوه وكسروا اصابعه واحدا بعد الآخر ، يوما بعد يوم لمدة عشرة أيام ، ولكنهم كفوا يعذبون الرجل الذى لا يعرف شيئا .

واخيرا وبعد أن ظل مسجونا مدة أحد عشر عاما وبالأصح اربعة عشر عاما بسبب علاقته بهيس ، أطلق سراحه فى سنة ١٩٥٥ ـ ولكن لم يكن بنتش الضحية الوحيدة لهذه الرحلة فهنالك رجل آخر كان ضحية لها .. انه الشخص الذى قام بالرحلة ـ فلا يزال هيس مسجونا حتى الآن .

ان قصة طيران هيس فى هذه المهمة التى لا يزال يعانى آثارها حتى الآن قصة طويلة يرجع تاريخها الى العام السابق لقيامه بها حيث بدا يظهر اهتمامه بالطائرات الالمانية الحديثة والموجودة فى مطار تمبلهوف فى برلين . وقد طلب من أوديت قائد المنطقة بعض المعلومات عنها ، خصوصا طريقة استعمالها ولكن هذا الرجل كان حريصا ولم يوافق على أن يطير هيس دون تصريح كتابى من هتلر ، فقد كان يعلم

ان الفوهرر منع زعماء النازى من قيادة طائراتهم الخاصة اثناء الحرب . وكان هذا امرا عاما املته ظروف الامن ولكنه اوجد بعض الحرج ، لأن هيس كان الوحيد بين زعماء النازى الذين يستطلعون قيادة طائرة ، فقد كان جورنج ضخما لدرجة لا يستطيع معهـــا أن يجلس على كرسى القيادة .

وقد طلب هيس ان يكون هذا الامر ساريا عليه لمدة سنة فقط فوافق هتلر على ذلك فورا وبعد مرور السنة نسى هتلر كل شىء عن هذا الموضـوع ـ أما هيس فلم ينســـه أبدا ، ونظرا لأن أحدا لم يثر موضوع حظر الطيران سالف الذكر ، فانه قد اصبح حرا فى قيـــادة الطائرة من جديد وبدأ على الفور فى تدبير الوسائل لتحقيق رغبته وطلب استعمال احدى الطائرات .

ولكن أوديت لم يعرف السبب فى رغبة هيس هذه . ولمـــا كان يعلم ان قرار حظر قيادة الطائرات لزعماء النازى لا يزال قائما ولم يرد من هتلر ما يفيد الرجوع عنه فقد رفض أن يجيب هيس الى طلبه فلجأ الى مسرشميت وكانت تربطه به علاقة صداقة منذ الحرب العالمية الاولى ، والى مدير أعمـــــاله الفنى ثيوكسروينس Theo Croneiss وكان كل منهما بطبيعة الحال يرحب بمساعدته لعلمهما باعماله العظيمة كطيار فى الحرب العالمية الاولى ولعلمهما باهتمامه وحبه الطيران المدنى والعسكرى منذ ذلك الوقت .

ولقد ذكر ليفتنانت جنرال هانزبور هذا الموضـــوع فى كتابه « طيران هتلر . ذهب هيس الى مسرشميت الذى كان يعلم بالطبع امر المنع « منع الطيران بالنسبة لقادة النازى اثناء الحرب » واعلن انه مكلف بمهمة خاصة لا يمكنه أن يتكلم عنها . ولقد سهل له مسرشميت مهمته لانه كان نائب الفوهرر وقد يكون مكلفا فعلا بمهمة خاصة » .

وقد زود مسرشميت هيس بطائرة للقيام برحلات قصيرة من اوجسبرج وكان هيس مهندسا بالتجربة واقترح بعض تعـديلات فى الطائرة . وقد تمت بالفعل وعمل بالطائرة خزان اضافى للوقود يسـع ما يقابل وزن شـخص تان يركب الطـــائرة من المفروض انه يرافق الطيار .

وقام مسر شميت بتثبيت الخزانين فى جناحى الطائرة . وكانت زنة كل منهما ٧٠٠ لترا كما ركب فيها جهازا لاسلكيا حساسا جدا . وقد سبق لهيس أن برر طلب هذا الجهاز بانه ينوى القـــيام ببعض الرحلات بالطائرة فى الطرق التى تضرب بالقنـــابل . ومن الضرورى تركيب مثل هذا الجهاز حتى تمكن من التقاط الاشارات التى تحدد اتجاهه .

وحيث أن هيس هو الرجل الثانى المهم فى الرايخ فلم يكن من حق مسر شميت أن يطلب منه تفسيرا لطلباته كما أن لديه بطبيعة الحال اعمالا كثيرة تشغله . فهو ينتج طائرات حربية بالكميات الكبيرة التى يطلبها منه جورنج .

وقد حدث عندما قابل هيس الليفتنانت جنرال هانز بور طيار هتلر الخاص في منزل هتلر في برلين . ان طلب منه بصراحة خريطة توضح الاماكن الممنوع فيهـــا الطيران ورد عليه بور قائلا « لدى خريطة لاستعمالي الشخصي وبطبيعة الحال لا يمكنني الاستغناء عنهـــا وزيادة على ذلك فهذه الخريطة مكتوب عليها « رايخ/سرية للغاية » ومعنى ذلك انه غير مسموح لي بأن اطلع اي شخص آخر على محتـــوياتها . وتبين هذه الخريطة السرية المناطق المحرم فيها الطيران على الطائرات الالمانية ، او الطيران على ارتفاع معين وهذه التفصيلات تتغير من وقت لآخر على حسب الظروف ولا يمكن حفظها عن ظهر قلب ، ولا يكون لهذه الخريطة اي اهمية ما لم تزود باستمرار بآخر التعديلات اولا بأول قبل أن يقوم هيس بأي رحلة في الطائرة . ويقول بور في هذا الموضوع « كل ذلك لم يرض هيس لاسباب لم اعلمها ولم توضح لي الا فيما بعد . لقد كان يريد خريطة لنفسه » .

وطلب هيس من بور أن يسأل الضابط المختص بهذه الخرائـــط السرية ان يقدم له واحدة منها ، وقد تردد الضابط في اول الامر ولكنه وافق بعـــد أن فكر بعض الوقت « انه نائب الفوهرر واظن ان من المستحسن ان اعطيها له ».

وبمعاونة هذه الخريطة وبالتدريب على استعمال الطائرة م/١١٠ وبما تلقاه من دروس عن استعمال أجهزة الطائرة وعن الطيران في الظلام اصبح في امكان هيس أن يخرج طائرا من المانيا في اي وقت يشاء » هكذا قال بور فيما بعد .

وفي يوم الأحد التالي لطيران هيس اتصـــل جورنج بمسرشميت وطلب منه ان يقابله لامر هام صباح اليوم التالي في ميونخ ، وعنـــدما تمت المقابلة كان اول ما فعله جورنج هو ان صاح فيه قائلا :

« هل اعتقد ان اي فرد يمكنه ان يطير باحدى طائراتك ؟ »

وقال مسر شميت بصريح العبارة « ان هيس ليس اي فردولكنه نائب الفوهرر » ، فأجاب جورنج « كان يجب أن تعرف ان هذا الرجل مجنون .. » وهذا ما كان يراه هتلر فيه ـ ولكن مسرشميت رد عليه « كيف تتوقع مني أن اعرف ان رجلا في هذا المركز الرفيع في الرايخ الثالث » يكون مجنونا ؟ لو كانت هذه هي حالته يا سيدي المارشال لكان الواجب قبول استقالته .

وبمجرد سماع هذا الرد انفجـر جورنج في موجة من الضحك غير المتوقع . ثم قال له مسرشميت عـد ثانية لمصـــنعك واستمر في انتاج الطائرات . وسوف اساعدك على التخلص من هذه الورطة اذا ما حاول الفوهرر جلب المتاعب لك .

ومن الواضح أن كليهما لم يذكر ان هيس كان ممنوعا من الطيران . ولكن جورنج عالج الموضوع كله ببساطة .

وقد قام هيس بالطيران اكثر من ثلاثين مرة من أوجسبرج ولم يكن يخفى انه سيطير ثانية . وكانت معظم رحلاته لا تستغرق أكثر من ساعة أو ساعتين ولكن فى عصر أحد أيام شهر يناير ، بعد محادثته الخاصة مع هوشوفر بوقت قصير أعلن انه سيطير لمدة أطول هذه المرة .

وعندما كانت الطائرة تعد للقيام بالرحلة سلم هيس لمساعده بنتش خطابين مختومين بالشمع الاحمر . أحدهما معنون باسم الفوهرر والثانى باسم « بنتش » نفسه وقال له :

« اضبط ساعتك على ساعتى ، والآن اذا لم ارجع خلال أربع ساعات افتح الجواب المعنون باسمك فهو يحتوى على بعض التعليمات ثم خذ الجواب الآخر وسلمه للفوهرر شخصيا فسوف يريد ان يعرف اين أنا » .

وحيا كل منهما الآخر . وفى خلال دقائق كان هيس ملحقا بطائرته واختفى سريعا بين سحب الشتاء . وعندئذ ركب بينتش فى المقعد الخلفى فى سيارة هيس الرسيدس ـ الرسمية فى انتظار عودة سيده وفى المقعد الامامى جلس سائقه ومخبره الخاص ، وبدا الاثنان فى الحديث حتى مرت الاربع ساعات وانتظر بنتش ١٥ دقيقة اخرى ثم فتح الجواب المعنون باسمه وقراه ثم صاح « يا الهى » ..

وفى الحال سأل الآخر « ماذا دهاك ؟ .. لم تبدو عليلا يا بنتش . ان لونك ابيض ؟ هل انت بخير ؟ .. هل تشعر باغماء ؟ » ..

وهز بنتش رأسه فقد جفت شفتاه من المفاجاة ثم قال :

« انه الجواب : ان نائب الفوهرر يطير الى انجلترا فى محاولة لعقد صلح » .

ولم يصدق المخبر هذا الرد واختطف الجواب منه ، وبدا الاثنان فى قراءته بصوت عال . وعند الانتهاء منه نظر كل منهما الى الآخر . وقبل ان يبدأ فى الكلام سمعا صوت محرك طيارة هيس ، لقد رجعت الطائرة . وعندما غادرها هيس واتجه اليهما لاحظ من انفعالهما انهما قرءا محتويات الرسالة . وقال ببساطة « حسنا » ـ لقد رجعت مبكرا عما كنت أتوقع ـ كانت هذه أول محاولة لهيس للطيران الى بريطانيا ولكنها لم تنجح .

وركب الجميع السيارة عائدين الى منزل هيس وأثناء الطريق قال هيس « أريد ان أوضح لك بعض الأمور البسيطة ، ويمكنك ان تخبر الآخرين اذا أردت .

وعندما وصل هيس الى منزله دعا بنتش للدخول معه ولاحظ ارتباكه فقدم له كأسا من البراندى وبعد ذلك سأله بنتش بصراحة

« لماذا كنت تطير الى انجلترا دون ان تخبر الفوهرر أ .. أنا أعرف انك طرت دون علمه والا لما سلمتنى هذه الرسالة لاعطيها له شخصيا » . وقدم له الرسالة المقفلة المعنونة باسم هتلر فأخذها هيس ووضعها فى درج مكتبه ، وكان هيس خبيرا بالرد والتهرب من الاسئلة الحرجة « صحيح ان هتلر لا يعلم اننى أقوم بهذه الرحلة فى هذه الليلة بالذات ، ولا يعلم أنها فشلت ولكن رغبته الهامة المستعجلة هى عقد صلح مع انجلترا فى اقرب وقت ممكن ، لقد بحثت الامر معه عدة مرات كما ناقشته مع البروفسور هوشوفر ومع البرخت هوشوفرت وقد قامت عدة محاولات للاتصال بالجانب الآخر فى لشبونة وفى اماكن اخرى ولكنها كانت غير مجدية ، والامر يتطلب اتصالا شخصيا ، حتى نعرف اين نقف ، ولو لم تخنى طائرتى لكنت الآن فى بريطانيا وهذا ما صممت على القيام به وربما كنت الآن ابحث الامر مع المسئولين الذين اود ان اراهم هناك » .

وسأله بينتش « ومع ذلك لماذا لم يعرف هتلر انك تقوم بهذه المهمة التى يطلبها ؟ » ورد هيس : سأحاول أن أشرح لك فانا كما تعرف احد الاعضاء الاوائل فى الحزب ، وكما تعرف أيضا فهناك كثير من آرائى فى كتاب هتلر « كفاحى » وانا متأكد من انك ستوافقنى عندما اقول انه يمكننى ان اقرا افكار الفوهرر بوضوح اكثر من اى شخص آخر . وهذا امر معقول بالطبع ، فلقد كنا معا عشرين سنة او اكثر ، وعلى ذلك فاذا كان هناك من يعرف بالضبط ماذا يريد هتلر فيجب ان اكون انا هذا الشخص ، ان هتلر يريد انجلترا قوية ، ويريد السلام معها ، وهذا هو السبب فى اننا لم نغز انجلترا بعد موقعة دنكرك لقد كان ذلك أمرا فى غاية السهولة كما تعرف ، وهذا هو السبب فى اننا بدانا فى فتح باب المباحثات من ذلك الوقت .

ان عدونا الآن ليس فى الغرب ولكن فى الشرق وهنا يكمن الخطر . وهذا ما يراه هتلر » وسأل بينتش « انت تقصد روسيا ؟ فهز هيس راسه علامة الايجاب .

نعم انا اقصد روسيا ، واذا ما استمر القتال مع بريطانيا فانني اخشى ان تحارب المانيا وحدها العالم كله ، وسوف تشترك امريكا فى الحرب وسيكون الاثنتان جبهة قوية ضدنا وان المسألة يا بنتش ليست مسألة روح معنوية ، انها مسألة حقائق وارقام ، فهما معا لا بد ان يكونا اقوى منا واحسن تسليحا وهذا يعنى ان المانيا الحديثة التى بناها الفوهرر سوف تختفى ، ان الحرب بين المانياوانجلترا سوف تنهك قوى الطرفين وانى اترك امريكا الآن جانبافلديهاموارداها الطبيعية الغنية ، وهى بعيدة جدا .

سوف تكتشف بريطانيا ان هذا النصر كلفها غاليا ـ ستفقد امبراطوريتها وسترث امريكا كل ذلك ، وما تبث بريطانيا أن تجد نفسها جزيرة صغيرة محتشدة بالسكان الذين يعيشون على اطلال امجادهم السابقة .

وستكون امريكا هى الدولة المنتصرة ، وسوف تملى ارادتها على

العالم اجمع ولكن امريكا لم تنضج بعد ، انها دولة حديثة ومن السهل جدا التسلط عليهـــا ، وليست لها خبرة بالحـــكم ، انهـا تكره الدولة الاستعمارية لانها كانت دولة مستعمرة فى يوم ما ، حقيقة ان ذلك كان من مائتى عام ولكن هذا لا يغير من الواقع شيئا ، وسيحدث الكثير من الكلام والمناقشات عن الحرية والاستقلال ، كل امة لها الحق فى تقرير مصيرها ولكن السبب الحقيقى فى كل ذلك هو مركب النقص الذى تعانى منه امريكا بخصوص هذا الموضوع .

« ولكن من سيملأ الفراغ الذى يحدث بين دول العالم ... لن تتمكن المانيا من ذلك ، ولا اية دوله اوروبيه اخرى ذات تجارب فى الاستعمار ، سأدلك يا بنتش على الدولة التى ستملأ هذا الفراغ ـ انها روسيا ، ففى خلال قرن واحد ستصبح روسيا اكبر دول العالم قوة ، وفى ذلك الوقت ستكون الاحداث خارجة عن ارادتنا وتحكمنا تماما .

انني أعرف ان هذه رغبة هتلر . ان حلمه الثمين هو منع حدوث ذلك . ولكن لا يوجد وقت طويل لمنعه » .

وتوقف هيس لحظة وقال له بنتش بهدوء وبطء « ولكنها مهمة خطرة تلك المهمة التى تقوم بها ، ماذا يحدث لو اعتقد البريطانيون عندما تصل الى هناك انك غير مخلص فى هذا العرض ؟ انا لا اعرف شيئا فى السياسة ولكنها مغامرة كبرى تقوم بها » .

فاجاب هيس فورا « انا أوافقك على هذا الرأى ، ولكن دعنى اجيب على اسئلتك نقطة نقطة . اولا اى خطر اواجهه بنفسى لا يعتبر شيئا بالقياس الى ما يمكن ان احققه لصـــالح بلدى ، وعلى الفرد ان يخاطر اذا ما اراد تحقيق رغبة ما وكلما زادت احتمالات النجاح زادت خطورة المجازفة . وفى هذه الحالة اوافقك على اننى سوف اقابل كثيرا من الاخطار قد تتحطم طائرتى فى البحر ، وقد اقتل رميا بالرصاص ، وقد اقتل عندما احاول الهبوط بالطائرة ، ولكن فى مقابل كل ذلك اذا ما نجحت فستكون نتيجة رحلتى انقاذ حيـــاة الملايين ـ وانقـــاذ مستقبلنا » .

ـ ومن ستقابل اذا ما وصلت الى انجلترا ؟

ـ سارى دوق هاملتون .

ـ من هو ؟

ـ انه مثلى ، من رواد الطيران الاوائل ، اول رجل طار فوق قمة جبل آفرست منذ ثمانى سنوات فى سنة ١٩٣٣ . انه رياضى عظيم .

ـ قد يكون الامر كذلك ، ولكن هل تعرفه يا سيدى ، هل قابلته ؟ اننى اوجه لك هذه الاسئلة الآن لانى اظن اننى اذا لم اسالها فسوف توجه اليك من شخص آخر فيما بعد .

ـ اننى اقرر رغبتك هذه يا بنتش ، وارد عليك بالايجاب ، نعم

أننى قابلت دوق هاملتون ولو انها كانت مقابلة قصيرة ، لقد قدم كل منا للآخر فى الالعاب الاوليمبية فى برلين منذ خمس سنوات » .

ـ ولكن بفرض انك وصلت الى انجلترا ، فكيف يتسنى لدوق هاملتون أن يراك مرة ثانية ؟ ان كل ذلك شىء جديد على ، ولكنى لا انظر الى الامور كما تنظر انت اليها فاولا اذا طرت بملابسك الرسمية فمن المحتمل ان يقبض عليك عندما تهبط بالطائرة على الارض ـ هذا اذا لم تطلق عليك النيران قبل أن تتاح لك فرصة الهبوط بالطائرة . واذا ما طرت بملابس مدنية فقد تقتل رميا بالرصاص كجاسوس ، والنقطة الثالثة هى كيف ستتصل الى الدوق ؟ فبالطبع لن تقف بسك الطائرة على عتبة داره انها ستهبط على ارض ما وبعد ذلك ستمشى وقد يقبض عليك فى اى وقت . اننى آسف اذ اقول كل هذا الكلام ولكن بما انك اطلعتنى على أسرارك الى هذا الحد فلا بد ان اكون صريحا معك ، اننى لا ارى اى أمل لك فى النجاح .

فأجاب هيس ؟

ـ اننى اقدر اهتمامك يا بنتش . أولا سوف اطير بملابسى الرسمية لنفس السبب الذى ذكرته . وسوف ارى دوق هاملتون وسوف يقابلنى ، انك تقول انى لن اهبط على عتبة داره ؟ حسنا بمكننى ان اهبط عليها وهذا ما سيحدث بالفعل سأهبط على عتبة داره .

ونظر اليه بنتش بتعجب ، هل جن نائب الفوهرر ، اقوى ثانى رجل فى الرايخ ؟ أم هل هو المجنون ؟ وتوهم حدوث هذه المناقشة غير العادية . ويظهر ان انعكاسات افكاره ظهرت على وجهه ولاحظ هيس حيرته فوقف وقال له :

ـ آه ـ انك تظن انى اتحدث بالرموز والالغاز اليس كذلك ؟ ناولنى هذه الخرائط من فوق الرف وسأوضح لك بالضبط ما أعنيه ،

فاطاع الامر وعندما نشر الاوراق وجد بينها خريطة كبيرة لشمال انجلترا وجنوب سكوتلندا وكم كانت دهشته عندما وجد عليها طريقا واضحا بالرصاص الازرق من هولى ايلاند فى الشرق الى ما بعد جلاسجو فى الغرب . وقال له هيس :

والآن يا بنتش لنرى هل انت مخطىء وهل انا على صواب واننى اتكلم عن انجلترا وانجلترا فقط عندما نقصد فى الحقيقة بريطانيا ؟ انت تظن أنى سأطير الى انجلترا ، حسنا اننى لن أطير اليها سأطير الى سكوتلندا وهى شىء آخر ، وسأطير عبر المانيا وهولندا مارا ببحر الشمال قاصدا الجزيرة البريطانية هنا عند ساحل بريطانيا الشرقى قرب الحدود الاسكتلندية وعندما أمر فوق شرق سكوتلندا سوف اعرف هدفى فاطير على مستوى منخفض حتى أرى منزل الدوق من اعلى وساختار ليلة مقمرة تكون فيها الاحوال الجوية مناسبة والرؤية سهلة جدا وهذا هو سبب محاولتى اليوم ، ولكن لا تخف فتوجد ليالى اخرى ، والآن لنعد الى الموضوع الاساسى .

اننى اعرف أن قصر دنجافيل قصر كبير وساعرفه . فبالقرب منه صف من الأشجار وتوجد قطعة أرض بين القصر والأشجار صالحة للهبوط بالطائرة واذا ما احتاج الأمر فساهبط بالمظلة .

والآن الا ترى انى ساهبط على عتبة داره كما قلت لك يا بنتش ؟ الا توافق ان ذلك سيسمح لى ببعض الوقت حوالى عشر دقائق قبل أن يأتى البوليس او قوات الجيش او اى فرد يرانى للقبض على ؟

انها فرصتى وسوف اغتنمها ؟ واظن اننى سعيد الحظ لاننى ساطير على مستوى منخفض وبسرعة جدا كما انه لا يوجد من يتوقع طائرة من هذا الطراز م/١١٠ فى هذا المكان البعيد حيث لا يمكنها ان تحمل وقودا كافيا ، وعلى ذلك فاى اخبار عن مثل هذه الطائرة سوف تقابل بالسخرية ، وعندما يتاكدون من الخبر ساكون بعيدا عدة اميال ، واذا هبطت بالمظلة الواقية فاننى ساتخلص منها واسير الى العتبة الامامية لمنزل الدوق دنجافيل .

وهز بنتش راسه فى حيرة وارتباك ان كل ذلك ابعد من خياله وتصوره ، ورد قائلا « أنا لا ادرى يا سيدى ، ليس لدى اية فكرة ان الامر كله يبدو غير طبيعى » .

ـ صبرا يا بنتش صبرا ، ماذا تفعل عندما تطرق باب غريب ؟ .. تدق الجرس ، وهذا ما سوف افعل ، وبعد ذلك يفتح الخادم الباب فاطلب مقابلة دوق هاملتون ، وساعطيه بطاقة سيوصلها بدوره الى الدوق ، وحينما يراها هذا الاخير سوف يوافق على مقابلتى .

ـ لماذا ؟ ما هو الاسم المكتوب على البطاقة ؟

ـ بالطبع لن يكون اسمى فالدوق لا يعرفنى جيدا ولكن الاسم الموجود على البطاقة هو البرخت هو شوفر ، وعندما يرى الدوق هذا الاسم على البطاقة فانه سيفترض بالطبع انه حضر ليراه بطريقة ما أو على الاقل انه مصاب بطلق نارى . ويمكنه ان يفكر كما يشاء ، ولكنى متاكد من أنه سوف يدعو هوشوفر للدخول فى منزله .

ـ على الاقل ليحتفظ به كاسير حتى يطلب القوات العسكرية بالتليفون .

وعندئذ فانه لن يرى هوشوفر ولكن سيرى هيس ، وأنا لا اعرف بالضبط ماذا سوف يحدث بعد ذلك ، ولكن على اسوا الفروض ساتمكن من ان اشرح له لماذا انا موجود هنا والغرض من رحلتى ، وساطلب مقابلة ممثل للحكومة وللملك ، والآن هل تعنى خطتى اى شىء بالنسبة لك ؟

وسواء أكان ذلك يعنى شيئا أم لا فى نظر بينتش فانه حول نظره عن الخريطة المضاءة وفرك عينيه ، فقد دار راسه بما سمعه فى هذه اللحظة ، ان الخطة جريئة بالطبع ، ومع ذلك فان كثيرا جدا من الخطط الناجحة فى السنوات القليلة الماضية كانت تبدو مستحيلة ولا يمكن تحقيقها ، ومع ذلك فقد نجحت .

ولكن هناك امرا غريبا نسى الاثنان أن يبحثاه ، ماذا يحدث لو لم يكن دوق هاملتون فى منزله ؟ لقد حصل هيس هوشـــــوفر على عنوان الدوق فى مقر دانجفال من كتاب « من هو » طبعـــــة قديمة ، مما قبل الحرب ولو كانا قد تمكنا من الحصول على نسخة معاصرة مطبوعـــة فى زمن الحرب ، لعلما ان الدوق يخدم فى سلاح الطيران الملكى البريطانى ومن المحتمل جدا الا يكون فى مقره .

واشعل بينتش ســـــيجارة ثم سرعان ما اطفاها ثانية علامة على ارتباكه وقال له هيس بلطف « حسنا ــ ماذا يشغلك الآن ؟ هل سببت لك قلقا ؟ ام انك تظن اننى خائن ؟ »

وقال بينتش محتجا : سيدى أنا لم أقل ذلك مطلقا .

ــ انا لم أقل انك قلت ذلك ولكنى قلت أنك كنت تفكر فيه .

عندئذ قال بينتش بحرارة : لا يمكن لاى فرد ــ يعرف أعمـــالك العظيمة ، ودرجة قربك للفوهرر ، وشجاعتك الشخصية او حتى جزءا بسيطا مما قلته لى الآن ــ ان يطلق عليك كلمة خائن ، واذا ما نجحت فى مهمتك فسوف يطلق عليك اسم منقذ أوروبا او حتى منقذ العـالم .

ــ اننى كنت افكر فيما سوف يحدث اذا ما فشلت ..

ورد هيس بهدوء : لقد كنت افكر فى نفس الامر يابينتش ، ولكن لا يجب أن أجلس هنا وافكر فى الفشل ، لا بد أن يكون فى المانيا مكان للرواد ، للافراد الذين يرغبون فى المخـــاطرة ، ونحن كأمة نعرف ذلك واني أحب ان اقول لك ان على الرجل أن يعمل بحـــرية وعلى مسئوليته وبطريقة تختلف تماما عما يطلبه منه رؤساؤه ، وبعد ذلك اذا ما نجح فانه سيكون مرموقا .

ــ واذا لم ينجح .

ــ عندئذ يا بينتش يضرب رميا بالرصاص . فان المسئولين يتبرءون من عمله وينكرونه ، اظن ان هذه هى الاجابة عن سؤالك .

***

ولقد قام هيس بمحاولة ثانية للطيران الى بريطانيا ، ولكن سوء الاحوال الجوية ارغمته على العودة ثانية الى اوجسبرج .

وفى يوم السبت الثانى من مايو اكتشف هيس ان الاحوال الجوية ستظل طيبة لمدة عدة أيام ، وبدا كل شىء كاملا ومعدا لرحلته ، وكان فى ميونخ قرب اوجسبرج وعلى ذلك قـــرر القيـــام بمحاولته الثالثة للوصول الى بريطانيا .

وفى هذه المرة لم يعد أبدا .

الفصل السادس
الحيرة في برجهوف

دق جرس التليفون صباح يوم السبت ١٠ من مايو فى وقت مبكر فى منزل بنتش وكان المتحدث هيس .

« صباح الخير يا بنتش ، انى متأكد ان هذا اليوم هو اليوم الذى كنا ننتظره ، واذا استمر الجو على هذه الحالة فسيكون يوما عظيما للطيران لمدة طويلة اعطنى نشرة الانباء الجوية بأسرع ما يمكن ، واذا ما سار كل شيء على ما يرام فى طريقه العادى فاننى انوى السفر حوالى الساعة السادسة » واجاب بنتش « حسنا يا سيدى واقفل السكة .

وبدا هيس فى ارتداء ملابسه فى حجرته ثم فتح الشباك وبدأ يتنفس بعمق وانتظام وبعد ذلك تمدد على الارض عدة لحظات فى احد أوضاع اليوجا ثم قام وسار عدة خطوات الى حجرة زوجته .

كانت الزاهيس Ilse Hesse شقراء حسنة المنظر وقد تزوجها هيس منذ اربعة عشر عاما ، لقد تقابلا فى بداية سنة ألف وتسعمائة وعشرين وبعد ذلك بقليل القى القبض على هيس وهتلر وسجنا مدة ثمانية عشر شهرا لمحاولتهما قلب نظام الحكم واسقاط حكومة بافاريا ، وقد أطلق سراحهما بعد سبعة شهور ونصف كتب فيها هتلر « كفاحى » وساعده هيس فى تصحيح الوقائع والبراهين التى وردت به كما اضاف جزءا من آرائه الشخصية الى هذا الكتاب .

وفى هذه الايام كان هؤلاء النسلاثة اصدقاء حميمين ، وعندما اطلق سراح هتلر وهيس ذهبت لمقابلتهما .

وفى احدى الليالى ذهب ثلاثتهم الى مطعم اوستريا بافاريا ويطلق على هذا المطعم الآن أوستريا اتياليانا فى شارع تشلنج وكان يقصد هذا المطعم الطلبة والفنانون ، وكانت الزا قد استقالت من عملها الى مكتبة محلية للتحف ، ولم تكن قد قررت بعد مستقبلها هل تلتحق بجامعة ميونخ كطالبة منتظمة طوال الوقت ـ أو تصرف ما ادخرته فى رحلة طويلة الى ايطاليا .

وشرحت الزا حيرتها لزميليها وعندئذ قال لها هتلر : هناك احتمال ثالث يا الزا » .

ـ ما هو ؟ تساءلت الزا .

ورد هتلر « يابنيتى العزيزة ألم يخطر ببالك قط ان تتزوجى هذا الرجل ؟ » .

وأشار الى رودولف هيس .

وقد لاقى هذا الاقتراح قبولا حتى ان زواجهما قد تم بعد اسابيع قليلة .

وعندما دخل هيس حجرة زوجته في هذا اليـــوم كانت راقدة في سريرها ـ فانها كانت تشعر بالتعب منذ عدة أيام ـ وتقرأ كتاب (طيار افرست) الذي يصف رحلة دوق هاملتون فوق قمة جبل افرست وكان باللغة الانجليزية فأخذه منها وقرأ الاهداء المكتوب على الغلاف ثم سلمه ثانية لالزا ولكن بعد ان فتحه على صفحة بها صورة للدوق وقال : « ان شكله جميل جدا » ليجذب نظر زوجته التي أومأت برأسها علامة الموافقة، ولكنها كانت مندهشة ولا تعرف سببا لابداء هذه الملاحظة .

ـ انى اوافقك على هذا الرأى ولكن هل هو فاتن حقا كمـــا هو في الصورة ؟

ـ بالطبع ، وهو أيضا رجل شجاع ، تذكرى انه طار فوق قمة جبل افرست في طائرة صغيرة جدا ولا أمل له في النجاة اذا حدث أى خطأ في الرحلة .

ـ كان يمكنك أن تقوم بمثل هذا العمل اذا أردت . هكذا ردت عليه زوجته بسرعة واخلاص (١)

وأجاب هيس « لقد خرجنا عن الموضوع » .

وظنت الزا انه يبدو غاضبا لأنها لم تقدر أهمية دوق هاميلتون بما فيه الكفاية وقال هيس لو كان في كلا البلدين « انجلترا والمانيا » رجال لهم استقامة وشجاعة الدوق لما قامت الحرب بينهما وكانت الزا لا ترى مبررا لهذا الحماس ولكنها عرفت السبب فيما بعد .

وفي هذا الصباح لعب هيس مع ابنه ولف روديجر وكان عمره في ذلك الوقت سنتين وكانوا يطلقون عليه في البيت اسم « بز Buz » وفي الاسابيع القليلة السابقة كان هيس يصـــحب ابنه كل صباح ويد كل منهما في يد الآخر في رحلة بجوار نهر ايزار ، وكان لحديقة المنزل باب يؤدى الى شاطىء هذا النهر وكان يصحبهم كلبتهم الولف هانـــه والكلاب الثلاثة الصغيرة التي ولدتها هاسو تورمي وهيدا وتيكل

ولم يكن يصحب هيس معه أى حارس بل كان يسير مـــع ابنه وكلابهما فقط .

وفي هذا اليوم تناول هيس غداءه مع الفرد روزنبرج مستشار هتلر

(١) بعد أن طار ليندبرج Lindbergh لاول مرة من غرب الى شرق المحيط الاطلنطى كان هيس يرغب في أن يطير بمفرده وحيدا من المانيـــا الى أمريكا ، وبعد أن استمر الاعداد لهـــذه الرحلة أكثر من عام ، أهملت الخطة وبعد ذلك قام كاهن فيتمنفس هانفولد بهذا الطيران البطولى لاول مرة بدلا من هيس .

الاول في جميع الامور الخاصة بايديولوجية الاشتراكية القومية ، وكان رجلا قوى البنية شديد الثقة بنفسه . وقد ولد من ابوين المانيين ودرس الهندسة المعمارية في موسكو وعاد الى المانيا هاربا من الثـورة الروسية سنة ١٩١٧ وكان كهيس وجورنـج ورويم وايكارت أحد الرواد الاقوياء الاوائل للحزب النازى ، وخلف ايكارت سـنة ١٩٢٣ في رئاسة تحرير مجلة الشعب وقد وجده هتلر نافعا ومفيدا لاتصـالاته باللاجئين الروس الذين يشاطرونه نظرته العدائية للشيوعية واليهود ، وبعد الغداء حوالى الساعة الثانية بعد الظهر غادر روزنبرج المنزل .

وعندما صحت الزا من نومها رات هيس واقفا بجوار السرير مرتديا ملابس الطيران فبدت عليها الدهشة فقال لهـا « لقد تلقيت مكالمة من برلين ، وفي طريقي اليها سأمر على ابسبرج ، وساطير لساعة او ساعتين فالجو جميل » .

وعدا ذلك من روعها ولكنها سالته :

ـ متى تظن انك راجع ؟

ـ لست متاكدا بالضبط ، قد اعود غدا او قد لا اعود ، ولكني على اية حال متاكد من رجوعي مساء يوم الاثنين .

فردت الزا بحزم : انا لا اصدقك ، ستغيب اكثر من ذلك .

وكان لها افكارها الخاصة ، فبعد استسلام فرنسا في يونيو الماضي، كان هيس يستعد لرحلات كثيرة لم تتم وكان يشرح لهـا هذه التصرفات بقوله : قد أقوم برحلة طويلة يا الزا في يوم ما دون ان اخطرك .

لقد صاحب هيس هتلر الى كامبين حيث وقعا اتفاقية الصلح مـع فرنسا سنة ١٩٤٠ ، ولهذا السـبب ولان هيس يجيد الفرنسية ويكن الاحترام للمارشال بيتان الرجل العجوز الذى حاربه في فيردان فقد ظنت الزا انه يشير بذلك الى رحلة خاصة لمقابلة بيتان (١) .

ولقد قوى لديها الاعتقاد بان زوجهـا يضع الخطط لرحلة طويلة بعيدة عن بيته فترة طويلة بسبب الساعات الطويلة التى امضاها مع ابنه في الاسابيع الثلاثة الماضية ولقد كتبت الزا فيما بعد تقـول « ان الشيء الذى اثار دهشتى اكثر من اى شيء آخر خلال هذه الاسابيع الاخيرة هو هذا الوقت الطويل ـ وفي وقت الحرب ـ الذى ينفقه زوجي مع ابننا لقد كان يبدو لى هذا الموضوع غير قابل للتفسير أو الايضاح » .

وقالت له الزا « على اية حال يجب ألا تغيب وارجع في اقرب وقت

---

(١) كتبت الزا هيس في مقدمة كتابها (سجين السلم) Prisoner of Peace لم يعلم بصفة عامة ان زوجي هو الرجل الذى ألح على هتلر ـ قبل توقيع اتفاقية الصلح في القطار المشهور في كامبين Compiegne في مناقشة طويلة حارة أنه من غير الحكمة وضع شروط قاسية قد تمس شرف العدو المهزوم وبذلك تضع حاجزاً دون التفاهم بين الامتين ولم يحضر هيس توقيع هذه الاتفاقية الا بعد أن وعده هتلر بتنفيذ اقتراحه .

ممكن ـ سوف يفتقدك بز Buz » وقال هيس وكأنه يكلم نفسه انى سأفتقده بدورى وأخيرا هب واقفا فقد حان وقت السفر وقال باختصار « حسنا يجب أن أذهب ـ وسلاما » وانحنى وقبل زوجته وسار متجها الى الباب وعندما فتحه التفت ونظر اليهـا كمن يريد أن يقول شيئا ولكنه عدل عن ذلك ومضى فى طريقه خارج المنزل وكـانت فى انتظاره عربته المرسيدس الفخمة وبجـوارها ثلاثة رجـال ، بنتش وحارسه الخاص وسائق العربة وسأل هيس :

ـ هل نحن جميعا مستعدون ؟

واومأ بنتش برأسه مجيبا وقال : عندما تكون مستعدا يا سيدى فنحن جميعا مستعدون ·

ـ هل معك التقرير الذى طلبته منك ؟

ـ فى حقيبتى هنا ياسيدى ·

ـ حسنا فلنذهب ··

عندئذ ركب داخل السيارة والقى نظرة اخيرة على منزله ، انه نفس المكان الذى طالما حلم بامتلاكه عندما كان بدون عمل بعد الحرب العالمية الاولى ·

وركب هيس بجوار السائق ، وكانت هذه هى عادته ، انه لا يركب مطلقا فى المقعد الخلفى الا اذا كان مسافرا مـع الفوهرر فى مناسـبة رسمية ، وركب بنتش والمخبر فى المقعد الخلفى للسيارة ·

وهكذا سار هيس الى وجهته مخترقا ميونخ فى طريقه الى اوجسبرج، وعلى بعد حوالى ١٥ كم من ميونخ لمس هيس نوع سائقه وأمره بالوقوف لحظة فى هذا المكان ·

وعندئذ غادر هيس العربة وبصحبته بنتش وقال له : « لقد قمنـا مبكرين قليلا من الميعاد فلنمش فترة فى الهواء الطلق » ·

وتوغلا فى السير فى الغابة ، واستغرق كل منهما فى أفكاره دون كلام ثم استدار هيس وسأل مساعده « اطلعنى على تقـرير النشرة الجوية من فضلك » فقدمه له بنتش ·

لقد كان كل منهما يعرف ما سوف يحدث ، وكذلك الرجلان الموجودان بالعربة أيضا وكانت تظهر لهما اسكتلندا فى مكان بعيد لا نهاية له ·· وقال بنتش وهو واثق مما يقول « ان اليوم طيب للطيران بالطبع » ولم يجب هيس ولكنه أومأ برأسه علامة الايجاب ، لقد كان هناك الكثير الذى يمكن قوله ـ ماذا عن العوامل المضادة ، أميال من البحر والطائرات المقاتلة النفاثة والمدافع المضادة للطائرات ؟

وبعد مسيرة نصف ميل نظر هيس فى ساعته الذهبية ثم قال « لقد حان وقت العودة »

وكان يبدو عليه القلق لمغادرة جو الغابة الهادىء وانتظر لحظة قبل مغادرة المكان وسار وحيدا ويداه خلف ظهره كما كان يفعل نابليون وشاهد لبعض الوقت أشعة الشمس والاشجار وأصوات ومناظر بافاريا التى نشأ فيها وأخيرا عاد الى العربة وفتح له بنتش الباب فدخلهـــا دون أن ينبس ببنت شفة .

وهكذا بدأت السيارة فى المسير مرة أخرى ، وبعد عدة كيلومترات قليلة وصلوا الى المطار الملحق بمصنع مسر شميت ، وعنـــد ذلك هدأت السيارة من سرعتها ثم توقفت على مدخل المطار وكان هناك حارســـان وبنادقهما فوق أكتافهما ، وعرفا السيارة فقـد كان هيس زائرا منتظما لمصنع مسر شميت .

وسمحا للسيارة بالدخول واوقف السائق السيارة فى ممر الطائرات قرب حظيرة الطائرات الرئيسية وتقدم الهر بيل مدير الابحاث فى المطار وانحنى محييا ، وقد بدا المطار مهجورا والمصنع مغلقا فقد كان هذا اليوم يوم سبت ، وفتح بيل والحراس أبواب الحظيرة بأنفســـهم حيث كانت الطائرة ذات اللون الرمادى الفضى مسر شميت وكانت تبدو صغيرة جدا لمثل هذه الرحلة الطويلة .

وغير هيس ملابسه وفى تمام الساعة السادسة صافح الجميع باليد . وكانت هذه عادته قبل أن يبدأ فى الطيران ، وكانت معه خـــريطة وآلة التصوير لايكا معلقة فى رقبته ، وبعد عدة أيام عند مافتحت زوجته الغطاء الجلدى لآلة التصوير لم تجد شيئا بالطبع الا ورقة صغيرة مكتوبا عليهـا « آسف ، لا يوجد فيلم فى آلتى ولذلك فقد أخذتها » .

وبدأ هيس فى الاستعداد للطيران وشيئا فشيئا بدأت الطـــائرة تتحرك ببطء ، وبعد ثوان كانت تطير فى الهواء واختفت فوق الحقـــول والتلال فى الشمال .

وقال بنتش « حسنا ، انها بداية حسنة اظن ان علينا ان ننتظر مدة طويلة » .

ثم نظر فى ساعته وأشارت عقارب الساعه الى السادســـة الا عشر دقائق ، لقد غادر هيس المطار فى موعده .

ورد بيل موافقا ولكن بدون حماس : اظن انك على صواب ، ويجب أن أقول انه يمكننى أن افكر فى اشياء افضل اعملها مساء السبت بدلا من البقاء فى هذا المكان الذى أراه سبعة أيام فى الاسبوع .

ترى كم من الوقت ستستمر غيبته يا بنتش ؟

وقال بنتش بصراحة « لست أدرى لا توجد عنـــدى اية فكرة على الاطلاق » .

وأثناء كلامه وضع يده فى جيب سترته الداخلى وتحسس الرسالة التى تركها هيس ليسلمها لهتلر اذا لم يعد لعطب فى الآلات أو لاى سبب آخر ، وكان يجب عليه أن ينتظر أربع ساعات قبل أن يسلمها .

وبحسبة بسيطة عرف بنتش ان عليه أن يغادر المطار في الساعة العاشرة والنصف في حالة عدم عودة هيس ، واعطى لنفسه مدة ساعة للوصول الى محطة ميونخ وبعد ذلك يركب قطار الليل ويصل الى برختسجادن صباح الاحد مبكرا وفي هذا الوقت يكون هيس قد قام بالاتصال بشخص ما في الجانب البريطاني ، وفي نفس هذا الوقت من مساء الاحد قد تنتهي الحرب .

وفي الواقع لم تكن كل هذه الافكار سوى أحلام ففي السادسة مساء الاحد كان كل من هيس وبنتش مقبوضا عليهما ، واحد في سكوتلندا والآخر في ألمانيا .

ومرت الدقائق والساعات ببطء ، وفي أول الامر تحدث بنتش مع الحارس الخاص لهيس وسائق السيارة ، ولكن السر الذي يكسبه ثلاثتهم سرعان ما أسكت السنتهم فبدوا في المشي ذهابا وايابا في المطار مخفين قلقهم عن « بيل » محاولين الاستماع الى صوت طائرة عائدة .

وبعد ثلاث ساعات بدأ بيل ينزعج لان هيس لم يعد ولم يكن يعلم شيئا عن رحلة هيس هذه ، وكان يخشى من المتاعب ومن التحقيق والاستفسارات والتقارير ماذا يمكن أن يحدث لنائب الفوهرر حتى لايعود طوال هذه المدة ؟ .. واذا لم يعد بسرعة فسيكون من الصعب ارشاد الطائرة للهبوط سالمة فلقد ظهرت طبقة من الضباب في السماء وبدأت في الانتشار فوق الارض وكانت سميكة لدرجة تجعل من الصعب الحكم على مدى ارتفاع الطائرة ـ ماذا يقال عنه ؟ والأدهى من ذلك ماذا قد يحدث له ـ هل تتحطم الطائرة ؟ او اذا اصيب هيس بجراح ـ أو ... وظهرت العكرة فظيعة جدا ـ او اذا قتل ؟

ثم التفت الى بنتش فلم يعد قادرا على احتمال هذه المتاعب وحده وقال « هربنتش أنت ترى ان الضباب ينتشر بسرعة وانى أفكر فيالاتصال بالبرفسور مسرشميت تليفونيا واشرح له أن الهر هيس لم يعد بعد ، واعتقد انه اذا عاد فسيكون من الصعب عليه جدا الهبوط بالطائرة ، وقد يقترح البروفسور أى شيء ويجب ان اقول انى قلق جدا » .

ثم استطرد في الكلام قائلا « ليس هذا فقط لان الهر هيس نائب الفوهرر ولكن لان طائرته في القائمة السرية ، وقد يحدث لها أى شيء ، فاذا ما طارت طائرة أخرى الآن او على الاقل في خلال ساعة قبلأن تختفي الاضواء ، فقد يمكنه ذلك منالهبوط سالماولكن اذا ما انتظرنا فان الضباب سوف يزداد سمكا بدرجة لا يمكن معها رؤية أى شيء ان الهر هيس لن يتمكن من رؤية الطريق في العودة ولا يمكنني أن أتأخر اكثر من ذلك ان هذا المكان رديء بدرجة كبيرة ولا يمكن رؤيته أحيانا بالنهار أما في الليل وبدون أضواء ووجوب الضباب فلن يصل مطلقا سالما الىالارض ، ألا ترى ذلك ؟ » .

وأومأ بنتش برأسه موافقا وقال « انني ارى ذلك تماما ، ولكني متأكد من انه لا داعي مطلقا للقلق . من الممكن طبعا ان ينزل الهر هيس

فى أى مطار آخر اذا لم يتمكن من العودة الى هنا أو اذا ما قابل أيةمتاعب، وعلى أى حال فانا متأكد من انه بخير ، فهو طيار ممتاز كما تعرف أو هل عندك شك فى ذلك ؟

وهز بيل رأسه وقال بعناد « ليس الامر كذلك اطلاقا ، اننى أوافق على أنه طيار ممتاز ولكن قد تسوء الامور وتسير فى الطريق الخطأ أحيانا ولا دخل لبراعة الطيار فى ذلك ، مثلا انقطاع اللاسلكى ، وجود ماء فى البترول ، ارتطام طائرة بالمحرك ، اننى لا أحب ذلك يا بنتش » ·

ورد بنتش مؤمنا على كلامه « ولا حتى أنا ولكن لا يمكن لك أو لى ـ أو لأى فرد آخر ـ أن يفعل شيئا الآن ، فلا تقلق من أجل هذا الموضوع وسأتحمل أنا المسئولية كاملة »

وبعد الساعة التاسعة بقليل دخل بنتش مكتبا خاليا فى مبنى الادارة وأغلق الباب خلفه وثبت الستائر بحرص على النوافذ وجلس على المكتب وأمسك بالتليفون وطلب من العامل رقما سريا ـ غير موجود فى السجل ـ فى برلين ، انه رقم تليفون فرعى فى وزارة الطيران يستعمله رؤساء محطات قذف القنابل فى كل ألمانيا ليأخذوا التعليمات والاشارات الخاصة بالطيران ·

وقال بنتش :

« بنتش يتكلم ، بنتش مساعد الهر هيس » . ثم وضع يده على سماعة التليفون زيادة فى الحرص اذا ما وجد من يسترق السمع علما بأن المبنى يبدو مهجورا ·

« استمع » وبدت تكتكة عندما ضغط هو ، وكان المكتب فى برلين على السويتش للتشويش على الخط التليفونى حتى يصبح من المستحيل على أى فرد آن يدخل فى الخط وأن يسمع محادثتهما ·

ثم استطرد بنتش قائلا :

« اننى اتكلم نيابة عن نائب الفوهرر ، لقد طلب منى أن أكرر طلبه الخاص بخط لاسلكى من أوجسبرج الى نقطة تبعد حوالى خمسة عشر كيلومترا غرب جلاسجو فى اسكتلندا فى دنجافل هيل ، فهل تعطل هذا الخط اللاسلكى ؟

ـ « هذا أمر صعب للغاية ، وفى الواقع يا سيدى المساعد أظن انه أمر مستحيل فلدينا مساء اليوم اكبر غارة جوية على بريطانيا ، حوالى خمسمائة طائرة ، وهم يستعملون كل الخطوط » وهكذا جاء الرد عبر الاسلاك والغابات والجبال ·

وقال بنتش « لم أكن اعلم ذلك . ولكنه أمر محرج لى أيضا فقد وعدت الهر هيس بهذا الخط وهو الآن فى الهواء ، وأنا فى أوجسبرج وليست لدى وسائل للاتصال به ، يبدو ان المتاعب حولنا فى كل مكان »·

ورد الطرف الآخر « سأعمل كل ما فى وسعى انى أعدك بذلك ، يمكننا أن نعطيه خطا لمدة ساعة واحدة حتى الساعة ٢٢٠٠ ، اذا كان ذلك مفيدا ، وبعد ذلك لا يمكننى أن أفعل شيئا فلدى أوامر ، ويجب عليك أن تأخذ الاذن من رؤسائى ٠٠ آسف » ٠

وقال بنتش « حسنا ، وشكرا مع السلامة » ٠ وأقفل السكة وفكر فيما قد يحدث ، هل يظن هيس أنه تخلى عنه ؟ وتخيل هيس وهو يدير جهاز اللاسلكى فى انتظار الاشارات التى لن تاتى أبدا ، وسرعان ما انقطع حبل تفكيره عندما سمع طرقات على الباب ، وعندما فتحه وجد بيل مضطربا أكثر من ذى قبل ، وقال بعصبية :

ـ « أظن انى سمعت التليفون »

واجاب بنتش « لقد تكلمت بنفسى مكالمة رسمية ، اسمع ، اظن انه لا فائدة من انتظار أى منا هنا واظن كذلك أنى أعرف الهر هيس احسن منك ، وأنا اعتقد انه نزل فى مكان ما ، قد يكون صادفه خلل فى الطائرة أو أى شىء من هذا القبيل ، واذا كان الامر كذلك فسوف يصلحها ، ويعود غدا صباحا ، وأحسن شىء أعمله لك هو ان أوصلك الى منزلك الآن فمازالت معى عربة الهر هيس ـ واذا لم تسمع منى أو منه شيئا حتى الصباح فانى اقترح عليك أن تتصل برئيسك ، ولا داعى لأن يسيطر عليك القلق ، انها ليلة واحدة بالنسبة لك ، بينما أتعرض أنا لهذا الشعور فى جميع الليالى ٠ »

ويظهر أن بيل ابتهج بهذه الفكرة فقد اغلق مكتبه وتبع بنتش الى العربة وجلس الجميع داخلها فى سكون ، وأوصلوا بيل الى منزله ثم أمر السائق أن يطفىء الانوار ٠

« قد توجد متاعب فى العمل الذى يقوم به هيس ، ولا أعلم حتى الآن ماتم ٠ كل شىء يتوقف على نجاحه أو فشله فى المهمة الملقاة على عاتقه ٠ لن معى خطابا منه للفوهرر وهذه السيارة معروفة جدا للجميع ـ واذا استعملناها فسيعرف كل شخص سيارة من هى » ٠

فعليكما الآن تناول العشاء ثم وضع السيارة فى الجراج وقال لهما : غادرا ميونخ الى جالسباخ ان لكما صديقا هناك ، انتظرا معه اذا ماستطعتما مقابلته ، واذا لم يمكن ذلك فانتظرا فى القرية حتى تسمعا ما تم بشأن هذه الرحلة سواء أنجحت أم فشلت ، وسأبذل قصارى جهدى فى بعث رسالة لكما بمجرد أن تصل لى بعض الانباء ٠

وأوصلهما بنتش الى جالسباخ حيث غير السائق والمخبر ثيابهما العسكرية بملابس مدنية وعلى ذلك لن يشك أحد فى أنهما جنديان فى اجازة قصيرة ، وبعد ذلك طلب من السائق أن يوصله الى محطة ميونخ « سالحق بالقطار الى برختسجادين يحيا هتلر » ٠

وبدأت العربة فى المسير ولم يتكلم أحد منهما فالكل مشغول بافكاره.

وعندما وصلوا الى المحطة سلما على بينتش الذى سلم عليهما بدوره وقال « اتمنى لكما حظا سعيدا » .

وردا ـ « وحظا سعيدا لك يا سيدى » .

وسرعان ما سار مساعد نائب فوهرر الرايخ وصعد السلالم المؤدية الى مكتب رئيس المحطة ، وشرح للكاتب (النوبتشى) أن الهر هيس يريد ان تلحق عربة السكة الحديد الخاصة به بالقطار التـــالى الذاهب الى برختسجادن .

واجاب الكاتب « يا سيدى المساعد لا يوجد الليلة قطارمباشر وعلينا أن نفك عربة الهر هيس فى فريلسنج »

وهز بنتش كتفيه ، لم يكن يريد أن يضايق نفسه بهذه التفاصيل الادارية وقال « وفي أى وقت سنصل الى برختسجادن فى هذه الحالة ؟ » فأجاب ـ « صباح الغد الساعة السابعه »

ـ متى يقوم القطار التالى ؟

ـ الساعة ٠٠ و ٢٤ ، كيف يمكن الاتصال بك عندما تكون العربة مستعدة ؟ فقد ترغب فى الانتظار بها حتى يحين موعد قيام القطار ؟

ـ كلا وشكرا ، سأصل قبل أن يتحرك القطار .

وخبط الرجل الارض بقدميه وحياه يحيا هتلر ورد بنتش التحية

ثم خرج ونظر فى ساعته وكان عليه أن ينتظر مدة طويلة ، ولم تكن هناك حاجه حقيقية للسفر فى عربة نائب الفوهرر ، ولكن لسبب ما ، لم يستطع تفسيره ـ بدا له ان من المهم استعمال العربة فى هذا الوقت ، قد يكون ذلك لانها تمثل السلطة والاستقرار وفى يوم السبت هذا كان فى حاجة الى كليهما .

وفى تمام الساعة الثـــانية عشرة الا خمس دقائق بدا بنتش فى البحث عن العربة ، وعرفه أحد المسئولين فى المحطة . فحياه وسار معه الى العربة وتساءل :

« هل سيسافر الهر هيس مساء اليوم » .

ورد بينتش : « ليس هذا المساء » .

ـ أليس موجودا فى منزله ؟ وهكذا حاول هذا الموظف ان يتكلم مع شخص قريب من السلطة العليا .

ورد بنتش باقتضاب « نعم انه غير موجود فى منزله » .

وجلس بنتش فى العربة واطفأ نور القراءة الموجـــود فوق راسه وأزاح الستائر من على النافذة وفتحها فدخل هواء الليل البارد وانعشـــه قليلا وعندئذ فقط عرف كم كانت أعصابه متوترة وكم هو متعب ، فرفع قدميه فوق المقعد المقابل وتمدد وأغلق عينيه ، وبعد عدة دقائق راح فى سبات عميق .

وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى سمع أصواتا تصيح عاليا ، من النافذة المفتوحة رأى عمال سكة الحديد يحاولون فك العربة وربطها فى عربة أخرى ، فنام ثانية ولم يستيقظ الا حوالى الساعة السابعة عندما اقترب القطار من برختسجادن .

وعندما وقف القطار غادره بنتش على وجه السرعة ولم يعط تعليمات عن العربة الخاصة الملحقة بالقطار ، فكل ما كان يهمه هو كيف سيقابل متلر ، وكيف سينظر هتلر الى الخطاب الذى معه .

وذهب الى مكتب ناظر المحطة واتصل تليفونيا بمساعد هتلر البرت بورمان شقيق مارتن بورمان الذى يعرفه جيدا ، فظهر البرت دهشته من وصول بنتش الذى لم يكن متوقعا فى مثل هـــذه الساعة المبكرة وساله متعجبا :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ـ معى جواب من الير هيس ويجب أن أسلمه الى الفوهرر شخصيا وبنفسى ، وانى أريد أن أقابل الفوهرر فى أقرب وقت ممكن .

وأجاب بورمان « انها مهمة صعبة ، فانه مشغول طوال اليوم ، ولكن سأفعل ما فى وسعى وسأرسل لك عربة » .

وجاءت عربة رمادية صغيرة ، وركب فيهـــا بنتش بجوار السائق وسارت بسرعة فى طريق الجبال المقفرة قاصدة بيت هتلر ، وعندما وصل سأله بورمان :

ـ ما هى الدوافع التى جعلتك تصر على رؤية الفوهرر هذا الصباح ؟

ـ آسف لا يمكننى أن أقول لك شيئا ولا أحب أن أكون كتـــوما ، ولكنك تعرف كيف تكون هذه الامور وكما شرحت لك فان معى خطـــابا مختوما من رئيسى اليه .

ـ وكيف حاله الآن ، أما زال مستمرا فى الطيران ؟

ـ نعم فما زال يطير .

ـ حسنا سأفعل ما أستطيع .

واختفى بورمان فى حجرته ، ولكنه لم يغلق سيدنا على الاطلاق وترك بنتش ينتظر عدة ساعات فى صالة الانتظار .

وبينما كان ينتظر ، رأى الدكتور فريتز تودت وزير دفاع رايخ متلر وهو الرجل الذى بنى خط سيجفريد ، فتقدم اليه وبدأ يتكلم « لقد عرفت أنك على موعد مع الفوهرر يا دكتور تود » .

ـ نعم أن ميعادى الساعة الحادية عشرة ولكنى اريد ان اراه قبـــل ذلك ان أمكن .

وجلس بنتش على مقعد بجواره وقال « يا دكتور تودت انى أريـــد

ان اطلب منك معروفا ، لقد وصلت توا من ميـــونخ ومعى خطاب خاص مختوم من الهر هيس الى الفوهرر ، ومن المهم جدا أن أسلمه له فى أقرب وقت ممكن ـ وأنا لا أطلب هذا الجميل بصفة عادية ، ولكن فى هـــذه الاحوال أكون عارفا ومقدرا للجميل اذا سمحت لى بمقابلة قصيرة مـــع الفوهرر لتسليمه هذا الخطاب باليد قبل أن تراه »

واجاب الدكتور تود ببساطة « بالطبع يا بنتش وانى موافق . فلن تستغرق مقابلتك وقتا طويلا · »

ـ أظن انها بضع دقائق يا سيدى ·

وبينما كان الرجلان يتحدثان معا ظهر هتلر هابطا من السلم الاوسط وكان وجهه شاحبا لا تعبير فيه ، فقد كان يعمل فى مكتبه منذ الســـابعة صباحا ، وكانت الساعة الآن بعد العاشرة بقليل ·

ووقف كل من الدكتور تود وبنتش وانحنيا للفوهرر وتقدم بنتش وقال :

ـ يا سيدى الفوهرر معى رسالة لك من الهر هيس · فقال له هتلر

ـ انتظر يا بنتش الا ترى ان الدكتور تود موجود ، وكان يرغب فى مقابلتى من مدة سأراك فيما بعد · واستدار الى وزير العمل ، ولكن بنتش وقف وقال باصرار :

ـ يا سيدى الفوهرر لقد تكلمت مع الهر تود وشرحت له اهميـــة الرسالة ولا مانع لديه من أن أقدمها لك اولا ·

ـ حقا ـ حسنا جدا ·· اعطنى الرسالة ·

فمد بنتش يده فى جيبه وأخرج الظرف المختوم وسلمه لهتلر الذى قال له :

« ادخل حجرة المكتب »

وكان هتلر يعمل فيها واقفا بجوار منضدة فوقها نموذج كبير للكرة الارضية ، وزهرية ونشافة حبر فهنا يوقع أوراقه ويصحح خطبه ، ويكتب مذكراته ويضع خططه الحربية ويصدر قراراته التى غيرت وجه اوروبا ·

لقد شاهدت هذه الحجرة أهم أحداث حياته ـ وما زال هناك الكثير. فهنا قابل موسوليني وملك رومانيا كارول ونيفيل تشمبرلن ، وهنا قابل شوشنج وأدار له جهاز التسجيل وكان فيه القضاء على استقلال النمسا وهنا أيضا وضعت الخطط لكى تصبح فى أواخر سنة ١٩٤٠ كل من فرنسا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا خاضعة لنفوذه وتحت سيطرته ،وأن تكون بريطانيا فى ذلك الوقت على حافة الهزيمة ، وفى هـــذه الحجرة أيضا ، وضعت الخطط لغزو روسيا وقد شهدت هذه الحجرة أيضـــا أوقاتا عصيبة ، فقد جلس فيها مع ضيوفه وكانوا جميعا شاحبى الوجـوه مثله تماما عندما جاءت أخبار غرق السفينه الالمانية بسمارك فى المياه البريطانية

رحلت الرسائل من بحاره سفينة الغارقة تفيد بان ٦ من الماني محبوسون في قبر حديدي عائم في البحر على بعد مئات الاميال . وليس في استطاعة الفوهرر أن يقدم أي مساعدة لهؤلاء الرجال الذين يدينون له بالطاعة والولاء وكتب عليهم الموت وليس أمامه الا الاستماع لرسائلهم والحسرة لمصيرهم .

وهنا أيضا ، في هذه الحجرة سمع هتلر أنباء بداية هزيمته التي أخذت في الازدياد فيما بعد ، لقد تقهقر الالمان في الجبهة الروسيةوانتهى الحلم الذي كان يظن قبل ذلك أنه على وشك التحقيق . وهنا أيضا بلغته أنباء غزو الحلفاء لفرنسا .

والآن سار هتلر في حجرته ثم استدار ليواجه بنتش ونظر اليه لعدة لحظات في سكون ثم لبس نظارته وفتح الخطاب وبدأ في القراءة .

وبعد قراءة السطور الاولى نظر الى بنتش وسأله :

ـ اين يوجد هيس الآن ؟

ورد بنتش بهدوء واجاب :

ـ يا سيدي الفوهرر لقد طار مساء أمس الساعة ١٠ و ١٨ من ولجسبرج الى سكوتلندا ليرى دوق هاملتون .

ـ فقال هتلر بغضب ، اى هذه اللحظة الحرجة من الحرب قد يكون هذا التصرف هروبا خطيرا .

ثم أمسك الخطاب ثانية وحين استمر في قراءته زادتقطيب حاجبيه ثم وضع الرساله جانبا وضغط على زر بجانبه فجاء أحد مساعديه وقال له هتلر :

« حاول ان تعرف أين جورنج وروبنتروب الآن » وقرر هتلر الخطاب مرة ثانية قبل أن يعود مساعده ويخبره بان :

ـ المارشسال جورنج في نورمبرج والهرفون روبنتروب في بيته في فونسل .

ـ ابعث لهما فورا للحضور ، انه أمر علىغاية منالاهمية والخطورة .

وانحنى المساعد وانسحب . وامسك هتلر بالخطاب وقرأه مرة ثانيه بصوت عال هذه المرة ، أعلى قليلا من الهمس :

« فاذا كان مصير هذا المشروع ـ الذى اعتقد أن فرصة النجاح فيه قليلة جدا ـ الفشل ، واذا وقف القدر ضدى ، فلنيؤدى ذلك الى أىنتيجة سارة سواء لك أو لالمانيا ، فيمكنك دائما أن تنكر علمك بهذا المشروع وتخلى نفسك من كل المسئوليات المترتبة عليه ، ويمكنك أن تقول عنى ببساطة انني مجنون (١) ... » .

---

(١) صرحت بذلك فراو انزا هيس للمؤلف .

وابعد هتلر الرسالة عن عينيه واستدار بعيدا عن بنتش ناظرا عبر الجبل تجاه سالزبرج وفى ذلك الوقت تنح باب أخر ودخلت ايفا براون واعلنت بصوت منخفض « الغداء جاهز » فهز هتلر رأسه . انه يستطيع ان يقابل الدكتور تود فى وقت آخر . وطوى الخطاب ووضعه بعناية فى الظرف ووضعه فى جيب الجاكت الايمن . وتردد بينتش . ان الجوهرز لم يصرفه ويبدو انه يتجاهله . وبينما كان الجميع يسيرون الى حجرة الطعام حضر مارتن بورمان وسأل بنتش فى همس :

ـ ماذا جرى ؟

فقد كان لا يجد سببا لوجود بنتش فى هذا الوقت كما كان يرى أخوه .

فاجابه بنتش : « ان هيس فى سكوتلندا » .

وهنا تقهقر مارتن بورمان الى الوراء وقال وهو غير مصدق :

ـ سكوتلندا . لا شأن لى بهذا الموضوع انا لا أعلم عنه شيئا . والآن لا تحاول أن تورطنى .

ووصل الجميع الى حجرة الطعام وكان بها الدكتور تود والدكتور أتوديتريش مستشار هتلر الصحفى . وهيوبل أحد مساعدى روبنتروب فى وزارة الخارجية والجنرال كارل بودنشاتز من القوات الجوية .

وحضر جورنج مسرعا أثناء الغداء وكان متلهفا لمعرفة أسباب استدعائه .

وشرح هتلر باختصار ما حدث فقال جورنج موافقا « يا سيدى الجوهرز انه لن يصل مطلقا الى سكوتلندا . واذا كان مسافرا على طائرة رقم ١١٠ فلن يصل الى هدفه . وانا أؤكد لك انه الآن فى المحيط الاطلسى طعاما للسمك » .

ولكن هتلر هز .

ـ ان بالطائرة خزانا اضافيا للوقود يساعده على الوصول الى وجهته . وعلى أية حال فانت لا تعرف هيس كما أعرفه أنا . سيتصل سالما وفى هذه اللحظة بالذات قد يكون مع دوق هاملتون فى سكوتلندا يتناولان الغداء ..

الفصل السابع
الدودة في الشرنقة

كان عيس يرقد في سريره في قلعة بوخارست في دراجين وهي قرية صغيرة من ضواحي جلاسجو . وقد استعملت هذه القلعة عند نشوب الحرب كمستشفى عسكري .

وكان يحرس الباب الخارجي في هذه القلعة رجلان من نجند الصحيين. يقفان خارج الحجرة . وكان عيس راقدا في فراشه شاحب الوجه . لقد مرت حوالي ثماني عشرة ساعة منذ وصوله . ولكنه كان يشعر وكأنه في هذا المكان من مدة طويلة تبدو بدون نهاية . فلم يعد الامور ضيقا ما كان يأمل ويشتهي .

هذا لقد رأى دوق هاملتون ، ولكن المقابلة لم تكن كما تصورها . مقابلة الند للند فقد كان عيس راقدا في سريره وموضوعا تحت الحراسة أثناء المقابلة . والأدهى من ذلك أن الدوق رغم أنه كان مؤدبا فقد كان يتصرف بطريقة رسمية لدرجة أنه سأله كيف ينبغي أن يعامل عيس .

وقبل ذلك بعدة ساعات عندما وصل عيس الى سكوتلندا وتحطمت طائرته وهبط منها سالما بالمظلة طلب مقابلة دوق هاملتون . كان الدوق وجنوده في حالة طوارئ، مدة أربع ليال بسبب الغارات الجوية العنيفة فوق سكوتلندا . وبالطبع لم ينامو سوى ساعات قليلة في ذلك الاسبوع. وفي مساء السبت ١٠ مايو كان الجميع يأملون أن يقضوا ليلة هادئة . وجاءت الانباء بما يفيد أن طائرة ألمانية قد عبرت الساحل الشرقي لاسكوتلندا وتوغلت داخل البلاد . وظن الجميع أنها قد تكون مقدمة لغارة كبيرة وانها جاءت لمراقبة الاحوال الجوية قبل البدء في الغارة .

ثم جاءت الانباء بعد ذلك تفيد بأن الطائرة تطير على ارتفاع خمسين قدما فوق سكوتلندا وانها من طراز م ـ ١١٠ ثم وردت أنباء بأنها قد تحطمت واشتعلت فيها النيران خارج ايجلشام وبعد ذلك بقليل وصلت أخبار هامة عن بدء غارة جوية عنيفة فوق لندن .

وفكر الدوق قليلا ثم قال « شكرا لله ان هذا يعني قضاء ليلة هادئة في سموا الظروف » ثم غادر حجرة العمليات وذهب الى سريره .

ولم يكد يضع رأسه على الوسادة حتى دق جرس التليفون وكلمه ضابط المراقبة بصفة عاجلة .

ـ هل تستطيع الحضور الى حجرة العمليات يا سيدى فورا ؟

ـ لم ؟ هل حدث مجوم ؟ هكذا قال الدوق مستفسرا ·

ـ كلا يا سيدى ·

ـ هل يوجد المان فى المنطقه ؟

ـ كلا يا سيدى ·

ـ اذن فلماذا أعود ؟ انني لم اكد ادخل فى سريرى ·

ـ لدى معلومات ومن الواجب على ابلاغها لك فورا ·

وقام الدوق وهو متعب وارتدى ملابسه وذهب الى غرفة العمليات ، فقالوا له ان الطيار الذى قاد الطائرة الالمانية قد هبط منها بالمظلة وذكر أن اسمه هوبتمان الفريد هورن ويريد أن يتحدث مع الدوق شخصيا . ولم يكن أحد يعلم بطبيعة الحال ان هذا الطيار هو هيس ، أما الدوق الذى لم يكن يعرف أحدا باسم هورن فلم تكن لديه أى فكرة عن شخصيته ·

وسأل الدوق الضابط الذى استجوبه « متى سأقابل هذا الالمانى الذى يرغب فى التحدث معى ؟ » ورد الضابط « غدا صباحا ياسيدى » فقال الدوق :

ـ سوف أذهب معك ·

وفى صباح اليوم التالى الاحد ١١ من مايو ذهبا معا الى معسكرات ماريهيل حيث وضع هيس تحت الحراسة . وقبل أن يدخلا حجرة هيس حيث يرقد، اطلع الدوق على المجموعة العجيبة من الاشياء التى كانت مع هيس من القوارير والانابيب والحبوب وصوره وصور ابنه ·

وطلب هيس أن يكلم الدوق على انفراد وعندما انسحب الضابط خارج الحجرة وأقفل الباب خلفه أعلن هيس شخصيته ·

« أنا وزير الرايخ الالمانى هيس . فأجاب الدوق بانه لا يستطيع أن يقرر ان كان هذا الكلام صحيحا أم لا ·

ورد هيس بعناد « يمكننى أن أقدم لك الادلة التى تثبت شخصيتى، وأخرج عندئذ الصور التى أراها لعائلة ماكلين « ها هى صورتى ، انها تثبت من أنا » ·

وقال الدوق « انها صورتك ولكن هذا لا يعنى انها صورة هيس »

ونظر كل من الرجلين الى الآخر . الدوق فى حيرة ، وهيس يشعر بخيبة أمل وردد هيس ببطء « لم افكر مطلقا فى ذلك ـ لم أفكر مطلقا فى ذلك » ·

فقد كان ذلك كثيرا على هيس فاغمض عينيه وأخذ يتكلم عن امله فى

مباحثات صلح بين بريطانيا والمانيا . ورغبته في مقابلة بعض كبار الحكومة المسئولين وقال :

« انني في مهمة انسانية . ان الفوهرر لا يريد ان يهزم انجلترا . ويريد أن يتوقف القتال » .

ولم يكن هيس يتكلم الانجليزية بطلاقه وكان الدوق يتكلم الالمانية ولكنه لا يجيدها ومع ذلك فان هيس بدأ في شرح أسباب رحلته هـذه والتكلم عن أمله في عقد صلح بين بريطانيا والمانيا .

وقاطعه الدوق بحجه أنه يفضل احضار مترجم وكان يريد من ذلك اعطاء نفسه فرصه يفكر فيها قبل أن يقرر ما يجب عمله وكذلك للتغلب على صعوبة اللغة ، وعندئذ يمكنهما أن يبحثا الامور بطريقة أيسر وأوضح . وأومأ هيس برأسه موافقا .

وعند خروج الدوق من الحجرة قال للضابط المكلف بالحراسة « قد يكون هنا سجين على درجة كبيرة من الاهمية ، واعتقد أنه من الحكمة أن ينقل خارج جلاسجو وأن تحتفظوا به في مكان ما سرا وتضاعفوا عليه الحراسه » .

ولذلك فقد نقل هيس الى المستشفى العسكرى في قلعة بوكانان في دراميمن ، على بعد حوالى ثمانية عشر ميلا .

واخذ الدوق معه صورتين او ثلاثة لهورن ، فقد تكون ذات فائدة في التعرف عليه ثم ركب سيارته وذهب الى مكان الطائرة المحطمة وعاينها ، وعند عودته اتصل تليفونيا بمكتب قيسادة الطيران وطلب اجازة فورا ، وبرر هذا الطلب بانه توجد مسألة على جانب كبير من الاهميـه ويجب الاتصال بوزارة الخارجية بشأنها . وانه سبق له أن تباحث في هـذا الموضوع مع رجال المخابرات .

فسأله الضابط «ومن سيراس تحطه اثناء غيابك بوزارة الخارجية؟» فذكر له الدوق اسم أحد الضباط ، وعلى ذلك تمت الموافقة على اجازته .

وعندئذ اتصل تليفونيا بوزارة الخارجية في لندن فطلب أن يتحدث شخصيا مع سير الكسندر وكيل الوزارة الدائم ، وأخيرا اتصل بسكرتير سير الكسندر ولكن الدوق لم يكن راغبا بطبيعة الحال في شرح سبب هذه المكالمة في خط مفتوح ، وأصر على طلب الحديث مع وكيل الوزارة لان لديه معلومات على جانب كبير من الاهمية يريد أن يقولها له ، ولكن السكرتير لم يظهر اهتماما بهذا الحديث ورد عليه :

« ان سير الكسندر مشغول جدا وقد يتمكن من مقابلتك خـلال أسبوع أو عشرة أيام ، انه مشغول جدا جدا » .

ولكن الدوق قال باصرار « ولكن هـذا الامر على درجـة خطيرة من الاهمية » .

وتبادل الاثنان الحديث دون الوصول الى أية نتيجة وفجأة سمع

صوت رنات في التليفون فانسحب السكرتير ، لقد كان صوت جوزكوتفيل السكرتير الخاص لمستر تشرشل . الذي قال بسرعة :

— لقد علم رئيس الوزراء بان لديك أخبارا هامة تريد الافضاء بها اليه .

وأمن الدوق على كلامه واضـــاف قائلا انه لا يمكنه الدخول في التفاصيل في التليفون ثم قال باختصار : انظر ، سأكون في نورثولت في مدة ساعة ونصف من الآن ، وارجو ان تبعث لي بعربة هناك وسوف اشرح كل شيء » .

وعند ما طار الدوق الى نورثولت وجد رسالة عاجلة في انتظاره ، ما هي ؟ لا احد يعلم ، فقد كانت رسالة مختومة وكان من الواضح انها تحتوي على تعليمات هامة .

وعند ما فتح الرسالة وجد بها مذكرة قصيرة يطلب اليها منـــه ان يطير الى مطار كيدلنجتون . على بعد عشرة ميل من اوكسفورد وكان هذا اقرب مطار الى ديتشلي بارك . Dubliew Park حيث يقضي رئيس الوزراء عطلة نهاية الاسبوع .

وهكذا طار الدوق الى كيدلنجتون حيث وجد في انتظاره ســـيارة سوداء كبيرة اقلته الى مكان رئيس الوزراء .

وكان مستر تشرشل يقضي عطلة نهاية الاسبوع في ديتشلي بارك وبصحبته البريجادير جوردن الذي عرف فيما بعـــد بلورد شـــيرويل مستشاره العلمي ، وانجلترن ارمي (ورد ارمي حاليا) سكرتيره العسكري وبراندان بركاب ، الذي اصبح فيما بعد وزيرا للاســـتعلامات ، وبعض الاشخاص الآخرين .

وعندما وصل الدوق الى ديتشلي بارك كان تشرشل وصـــحبه قد انتهوا توا من تناول الغـــداء ، وسأله رئيس الوزراء بمرود عند مصافحته « ما كل هذا ؟ »

واجاب الدوق بـــــ انه لا يمكنه ان يحدث علانية . ويجب ان يحدث معه على انفراد ونصر لان الغداء كان قد انتهى فقد غادر الضيوف الحجرة واحد ورد الآخر ، ولم يبق في الحجرة ســـوى دوق هامتون وزير زراعته سيمكر وزير الدفاع وبمجرد أن أغلق البـــاب شرح الدوق الامر وقال : ان الالمانيا ذكر ان اسمه الفرد هورن ثم ادعى فيما بعد أنه رودلف هيس قد هبط من الطائرة بالمظلة في سكوتلندا وطلب ان يقابله شخصيا . وعندما قابله علن انه جاء ليعرض الصلح بين بريطانيا وقدم الدوق الصور التي كانت معه ، وكانت الصور تفضح تلك الخيانة .

وبعد ان انتهى من الحديث لم يتكلم احد لفترة وقال الدوق فيما بعد «ان تشرشل كان يظن ان وكالتي نقلت الكذب . وبعد فترة قطع تشرشل السكون وقال بمرود :

« ما علينا .. هيس . ان ذاهب الآن لمشـــاهدة اخوان ماركس » وذهب الجميع لمشاهدة الفيلم . وجلس الدوق في مقعـــد مريح وسرعان

ما استغرق في النوم تلك الليلة الساعة وعدم نومه لمدة أربع ليال متتالية وأنعمه ولم يفق من نومه الا بعد [illegible] عند منتصف الليل

وبعد ذلك استدعى تشرشل في استجواب [illegible] حتى حوالي الساعة الثانية صباحا عن مقابلته مع عميس والاحداث التي أدت اليها وسأله أخيرا :

ـ هل تظن أن هذا الرجل هو عميس حقيقة ؟

ـ لو لم يكن عميس لما ذكر اسم البروفسور تيرجت هوشوفر ؟

وأخيرا أسند تشرشل رأسه وقال ببطء كمن يفكر بصوت عال « العودة في الشرنقة » ؟ وتساءل رئيس الوزراء : ولكن لماذا يريد عميس ؟ لماذا هو هنا وهل ذاعت من ألمانيا أنباء عن وصوله ؟ وأخيرا هل هذا الرجل الذي يرقد في مستشفى جلاسجو تحت الحراسة هو رودلف هيس حقا أم هو شبيه له أرسل في مهمة سرية ؟

وكان هذا أمرا ممكنا . وكانت الطريقة الوحيدة لاكتشاف ما اذا كان هوزن هو عميس حقيقة هي أن يواجه بشخص يسأله بدقة وعناية عن تاريخ حياته وعن عائلته وعن معتقداته . واذا كان هذا الغريب بديلا لهيس فسيكون من السهل اكتشاف أمره . وعلى العموم فقد كان الوقت متأخرا لاتخاذ مثل هذا الاجراء ولذلك فقد ذهب كل الى مخدعه لينام .

وفي صباح اليوم التالي ذهب الدوق عاملتون الى لندن في قافلة من ثلاث سيارات تشرشل في السيارة الاولى والدوق في الثانية وبعض الضباط في الثالثة . وسارت القافلة بسرعة مذهلة ووصلت داونتج ستريت حوالي الساعة العاشرة . واتصل تشرشل فورا بانتوني ايدن وزير خارجيته واستدعاه في حجرته وأخبره بالموضوع وقال له : لو أن عميس قد هرب هاربا من بلده . وعليك أن تبحث الموضوع بدقة .

وبعد ذلك ذهب الدوق الى مكتب ايدن وحكى له بالتفصيل ما تم في المقابلة التي جرت في معسكرات ماريهيل . فاتصل بسير الكسندر كادوجان الذي اتصل بدوره بايفان كيركبترك (جميل الآن على لقب سير) في مكتبه بالاذاعة البريطانية فقد كان كيركبترك سكرتيرا أول في السفارة البريطانية في برلين من عام ١٩٣٣ الى ١٩٣٨ وكان معروفا عنه أنه أحد كبار المتخصصين في كل مايتعلق بالحزب النازي . ومن الواضح أنه قد يتمكن من معرفة أهوزن هو عميس حقيقة أم هو بديل له (١) .

---

(١) لقد انتشر استعمال الشخص الشبيه أو البديل في عدة مناسبات أثناء الحرب العالمية وخاصة قبل يوم النصر في عام ١٩٤٤ فاستخدم البريطانيون ممثلا اسمه كليفتون جيمس ليتظاهر بأنه الجنرال مونتجمري وطار الى جبل طارق وجلس مع الحاكم ثم طار الى شمال أفريقيا وكان الهدف من ذلك هو خداع القيادة العليا الألمانية حتى تعتقد أنه من المحتمل النزال قوات الحلفاء في البحر الأبيض المتوسط بدلا من نورماندي . وقد نجحت الخدعة .

وسأل سير الكسندر :

ـ أخبرني ، هل رأيت رودلف هيس كثيرا عند ماكنت في المانيا ؟

وأجاب كيركبترك : « نعم »

ـ هل تعتقد انك تعرفه معرفة كافية تمكنك من التعرف عليه والتأكد من شخصيته لو رأيته مرة ثانية ؟

ـ أنا متأكد من ذلك ·

ـ هذا ماكنت افكر فيه . والآن أنا لاأريد التحدث أكثر من ذلك في هذا الخط المفتوح . ولكني أظن أنها فكرة حسنة اذا ماطلبت منك الحضور فورا الى وزارة الخارجية لمقابلتي ·

وعندما وصل كيركبترك الى الوزارة قابله سير الكسندر كادوجان فورا وسأله :

ـ هل انت متأكد تماما من امكانك التعرف على هيس دون أي احتمال للخطأ ؟

ـ أنا متأكد من ذلك تماما ياسيدي ·

وعندئذ شرح له سير الكسندر الموضوع وقال له ان دوق هاملتون قد قابل هيس وقدم تقريرا عن هذه المقابلة . وبينما كان الاثنان يتجاذبان أطراف الحديث دخل انتوني ايدن وزير الخارجية واصدر التعليمات بأن يتحقق كيركبترك أولا من شخصية هيس ـ ينقل الى وزارة الخارجية كل مايدلي به من أقوال ·

ونظرا لاهمية الموضوع وضرورة سرعة تنفيذ هذه التعليمات فقد كان الأمر يستدعي تدبير طائرة في الحال ليستقلها دوق هاملتون وكيركبترك الى سكوتلندا ولكن جميع الطائرات الصالحة لهذه الرحلة كانت في مهام حربية ، وقد أمكن بعد حوالي خمس ساعات اعداد طائرة بطيئة السرعة من طراز قديم ولكنها لم تتمكن من الاستمرار في الطيران اذ اضطرتها شدة هبوب الرياح الى الهبوط بالقرب من كاريبت حيث توجد مخازن ومستودعات فرقة الحرس ·· وبعد أن زودت الطائرة بالوقود واصلت سفرها ، وفي حوالي الساعة العاشرة مساء هبطت في نيرن هاوس وكان الرجلان في حالة شديدة من الاعياء بسبب الجوع والبرد ·· وبمجرد وصولهما تلقى دوق هاملتون مكالمة تليفونية من سير ارشيبالد سينكلير من لندن قال له فيها أن برلين أذاعت أن هيس مفقود وأن عليه أن يراه في أقرب وقت ممكن ·

واستقل الاثنان سيارة لتذهب الى قلعة بوكاتان لمقابلة السجين ، وقال كيركبترك فيما بعد أنه عندما دخل الحجرة مرت به لحظة تردد ولكن هيس عرفه بمجرد أن رآه وحياه بحرارة(١) ·

---

(١) من كتاب The Inner Circle by Sir Ivan Kirkpatrick. Macmillan:

ولكن بدلا من أن يتكلم هيس في لب الموضوع الذي حضر من اجله اخذ في تقريظ هتلر والتغني بفضائله لمدة أكثر من ساعة ونصف وعقدت الدهشة لسان كيركبترك فجلس دون أن يتحرك . وقد كان من المحتمل أن يطول هذا الحديث لولا أن طلب كيركبترك التحدث في التليفون . كان وزير الخارجية يريد التحدث اليه من داونتج ستريت :

وسأله مستر ايدن : هل قابلته ؟

وأجاب كيركبترك : نعم ويمكنني أن أؤكد له هيس .

ـ حسنا ولماذا جاء ؟

ـ لم نعرف بعد ، لقد تكلم حتى الآن حوالي ساعة ونصف ولكنه لم يشرح لنا سبب وجوده هنا .

وبينما كان دوق هاملتون وايفان كيركبترك في طريقهم الى غرفة هيس كانت الجرائد تستعد لاصدار ملحق جديد يروى قصة هيس وهبوطه من الطائرة في اسكتلندا تحت عنوان «رودلف هيس في جلاسجو» ولكنهم كانوا في شك من موافقة الرقيب على نشر هذا الخبر .

وفي الساعة ١١ر٢٠ من هذا المساء أعلن وزير الاستعلامات البريطاني من ١٠ داوننج ستريت البيان التالي :

«لقد هبط رودلف هيس نائب فوهرر ألمانيا ورعيم الحزب القومي الاشتراكي في سكوتلندا في الظروف التالية : أخبرتنا دوريات مصايد السمك ١٠ أن طائرة من طراز مسر شميت ١١٠ عبرت ساحل سكوتلندا وتوغلت داخل البلاد متجهة الى جلاسجو .

وحيث أن هذا النوع من الطائرات لا يحمل وقودا كافيا للعودة الى ألمانيا فلم يصدق هذا البلاغ أول الامر .

وعلى أية حال ، فقد تحطمت بعد ذلك طائرة من طراز م ١١٠ لم تكن مدافعها قرب جلاسجو وبعد فترة قصيرة تم العثور على ضابط ألماني هبط منها بالمظلة في مكان قريب من الحادث ويشكو من ألم في ركبته .

فنقل الى مستشفى جلاسجو حيث ذكر أن اسمه هورن ولكنه أعلن فيما بعد أنه رودلف هيس ، وأحضر معه عدة صور له في مختلف مراحل حياته حتى يتمكن من اثبات شخصيته .

وقد ثبت بصورة قاطعة انها صور هيس وأكد ذلك عدد من الافراد يعرفونه شخصيا وبناء عليه فقد أرسلت وزارة الخارجية مرطفا بها كل من يعرفه أيضا بالطائرة ليعود في المستشفى .»

الفصل الثامن

حيرة الفوهرر

بينما كانت هذه الحوادث تجرى فى انجلترا أذاع راديو برلين نبأ فقد هيس .. بالرغم من أن الفريق بهسر [illegible] ن هيس قام بالعمل الذى يريده الفوهرر ويعلمه ـ فيما عدا وقت القيام به اذ كان ذلك يتوقف الى حد كبير على الاحوال الجوية ـ ولكنهم وقد كانوا من السياسيين المحترفين كان يهمهم انقاذ الموقف فى حالة فشل مهمة هيس . فقد كانوا يعتقدون بينهم وبين انفسهم انها مهمة مآلها الفشل . لم يكن تشرشل بالرجل الذى يوافق على صلح بالشروط التى يعرضها هيس . ولكن اذا تصادف لحسن الحظ وبطريقة ما وبدأت مفاوضات الصلح مع بريطانيا . فمن الطبيعى ان يعتبر هيس فى ألمانيا بطلا . وفى هذه الحالة غير المحتمل وقوعها لم يكن أحد فيما عدا جماعة صغيرة من كبار النازيين يعلم ماذا سيحدث بعد ذلك . وهكذا انتظر هتلر بصبر وقلق انباء من بريطانيا عن وصول نائبه . على حين أعد مساعدوه الخطط لتخلى عن هيس ومهمته فى حالة الفشل . وكان هتلر يفترض أنه لو تم زيارة هيس نجحت فستصله أخبار خلال ساعات . أما اذا لم يتصل أحد بالنفى فى مدة ١٢ ساعة فان ذلك يعنى أن تشرشل غير راغب فى عقد مفاوضات صلح بأية شروط .

وكان المفروض أن يبعث هيس برسالته فور وصوله . وقد ظن هتلر أن خطأ ما قد حدث . لم يكن هناك مجرى للصمت . الصمت الرهيب من بريطانيا(١) .

هذا الصمت غير المتوقع جعل هتلر يفكر فى أن رحلة هيس هذه سوف تستغلها بريطانيا فى أغراضها الدعائية . ولاشك فى أنها تكون مادة طيبة لدعاية عريضة ضد النازية ولو أن الوضع كان قد تغير وجاء النبأ الذى برخسجادن فمما لا شك فيه أن ألمانيا ستنتهز الفرصة وتقوم بحملة دعائية لمصلحتها وعلى ذلك فلم يكن لديه أى سبب يدعو للاعتقاد بأن بريطانيا ستسلك طريقا آخر .

وكان تفكير الجميع الآن ينصب على الطريقة التى ستتبعها بريطانيا فى استغلال هذه الحادثة وأثرها على الرأى العام فى ألمانيا وايطاليا واليابان بل وفى جميع انحاء العالم . وهل سيكون رد ألمانيا ودفاعها هو الخط من أهمية هيس والتعريض به قبل أن يستغل اسمه البريطانيون . ولكن لم يكن هذا أمرا هينا فقد كان هيس شخصا محبوبا ومهما فى ألمانيا وكان صديقا للفوهرر وأمين سره مدة عشرين عاما . لذا ماعرف الآن أن هيس قد طار

---

(١) من كتاب

The Rise and Fall of Hermann Goering
by Willi Frischauer.

فجاة بدون علم الفوهرر او موافقته ـ الذي تعمد ذلك ؟ لماذا هرب ثاني اهم رجل في الرايخ الثالث ويطير الى بلاد العدو ؟

ولماذا قام شخص في مثل مركزه الكبير وسمعته بهذا العمل اثناء الحرب وبدون موافقة هتلر ؟

ماذا يخشى هيس ؟ هل هناك خلاف بين اكبر رجلين في المانيا ؟ ومن ناحية اخرى اذا اعتقل ان هيس قد طار لانهاء بعثة السلام فهو اهم الفوهرر . اذن فما هي الشكوك والمخاوف التي تسيطر على عقل هيس حتى يهرب بمفرده في مثل هذه المهمة اليائسة منها ؟

وكان من الواضح انه مهما قيل في هذا الموضوع . فان الشعب الالماني لن يصدق ان هتلر لم يكن على علم بهذه الرحلة واغراضها منها . والا كيف نجح هيس في الحصول على طائرة صالحة لرحلته الطويلة ؟ كيف يتسلم تقارير الانباء الجوية ؟ وكيف يطير فوق كل مراكز الدفاع الالمانية بسلام واذا ماتسربت الانباء بانه قد مال فعلا طيار هتلر الخاص وفي منزل هتلر نفسه عن خرائط سرية للاستعانة بها في مهمته فان القصة ستكون ظاهرة ولا تحتاج الى مزيد من الايضاح .

ان تبادل هذه الاسئلة كان لانهاية له وكانت الاجابة عليها عسيرة والضرر الذي سيصيب بسببها المانيا والدول المحايدة والدول عبر المتوسط بالمحور سيكون شديدا ؟ ماذا يحدث لو خدرت بريطانيا هيس وعرفت منه ادق اسرار هتلر ـ وخططه لمهاجمة روسيا ؟ ماذا يحدث لو ان بريطانيا قد حذرت روسيا من أغراض هتلر ؟(١) .

وكان هتلر في مكتبه يبحث الامور ، لقد غادر هيس اوجسبرج في الساعة السادسة الا عشر دقائق مساء يوم السبت ، وكانت المسافة الى انجفال حوالى ٨٥٠ ميلا وبحسبة بسيطة وجد ان هيس يستطيع الوصول الى وجهته حوالى الساعة ١١ مساء ، وعلى ذلك فانه حين سلم بنتش رسالة هيس الى هتلر يوم الاحد يكون قد مر أكثر من ثماني عشرة ساعة منذ غادر هيس المانيا . ومع ذلك فلم تصل أية رسالة من بريطانيا عن نزوله فيها .

ومن المؤكد ان حادثا مهما كوصول نائب الفوهرر الى انجلترا لايمكن ان يمر بدون تعليق سواء كان هدف الحكومة البريطانية اجراء مفاوضات للصلح أم لا . وما لم تتحطم طائرته في البحر فانها لابد ان تطير فوق كثير من مدن بريطانيا مسكونة . وهل ارغمته الطائرات المقاتلة والمدافع المضادة للطائرات على الهبوط ؟ أم هل تحطمت طائرته في الطريق ؟

لقد فكر هتلر في كل هذه الصعاب والمتاعب . فبالرغم من ان هيس اقترح عليه حلا ليبرىء نفسه من أية معرفة بالخطة في حالة فشلها وانه يستطيع ان يقول عنه ببساطة انه قد جن الا انه بطبيعة الحال لن يأخذ بهذا الرأى الا اذا تعذر عليه اتباع طريقة أخرى وذلك لسبب بسيط ـ

---

(١) في الواقع في يوم ٣ ابريل اى قبل وصول هيس بخمسة اسابيع ارسل السفير السوفيتي رسالة الى ستالين عن مدى امكان حدوث مثل هذا الهجوم ولم يهتم ستالين بهذه المعلومات .

ان هيس لم يكن مجنونا ـ ولا يوجد الدليل على جنونه ، واذا قيل انه مجنون فمما لاشك فيه ان الكثيرين من الالمان سوف يتساءلون : لم لم يعرف أمر جنونه قبل الآن ؟ وكم عدد الحالات المشابهة له فى المستشفيات العليا ؟

وكان هتلر يطلب الرأى والنصيحة ممن معه ، وكان وضع جورنج بالذات حرجا للغاية • فقد استمر هتلر فى سؤاله •

« هل يمكنه أن يصل الى هناك ؟ ألا تخبرنى فأنت رجل طيران ••

ويجيب جورنج بصعوبة : ان الفرصة لاتتعدى خمسين فى المائة مستعملا فى ذلك الاصطلاح الانجليزى • fifty-fifty

ويرد هتلر بغضب :

هكذا !! وأنت الآن تتكلم بالانجليزية اذا ماسمع موسوليني بذلك فسوف يظن انى أحاول القيام بعقد صلح منفرد مع انجلترا •

ويقول جورنج :

اذا ماوصل هيس الى بريطانيا فان هذا الحادث سوف يعطيها فرصة فريدة فى الدعاية لمصلحتها ، ويجب علينا ان نشهر فى الحال ببيانا عن هذا الحادث قبل أن تستغله هى • ويجيب هتلر :

ولكن قد تكون طائرة هيس تحطمت فى البحر ـ كما أكدت لى ذلك ـ واذا كان الامر كذلك فلن يعلم أى شخص •

ويهز جورنج رأسه ـ يجب أن يعلم البيان •

وقد كتب جورنج فى مذكراته معلقا على هذه الحادثة : بان هتلر ـ وقد كان من عادته الا يتذكر المسائل الهامة الا مع مستوزين شخصيا ـ لابد أن يكون قد تفاهم مع هيس أقرب شخص له بشأن هذه المغامرة ، وان استطاع أن يقنع هيس بريطانيا بان تشترك معه فى شن الهجوم على روسيا فانه يحوز نصرا لم يستطع أن يصل اليه جورنج بمهارته وكفايته •

وكل من كان على اتصال بجورنج كان يعتقد بان هتلر لايريد فقط التصالح مع بريطانيا ، بل يريد اقناعها بالهجوم معه على روسيا ـ وان حالة القلق التى هو عليها الآن راجعة الى خوفه من فشل هذه الخطة •

واخيرا حوالى ظهر يوم الاثنين قرر هتلر الا ينتظر أية اشارة من هيس فاصدر اوامره للدكتور أوتو ديتريش مستشاره الصحفى أن يكتب مسودة بيان غامض يعبر به عن عمق عن مرض هيس العقلى ـ كما اقترح هيس ـ ولكن بشرط الا يذاع هذا البيان الا بامر شخصى منه •

وقد أصدر ديتريش تعليماته بمراقبة كل اذاعات بريطانيا على امل أن يعلن فيها أى اشاره عن وصول نائب الفوهرر ، فان ذلك قد يساعده كثيرا فى كتابة مسودة البيان الذى طلبه منه هتلر •

وفى نفس الوقت فى جلاسجو كان ديفنجستون يصدر تعليمات مشابهة بمراقبة كل الاذاعات الالمانية على امل أن يجد فيها مايثبت شخصية هورن •

وأثناء ذلك قابل جورنج مسرشميت وعالج معه الموضوع متبسطا واخبره بأن الامر ليس هاما وانه سوف يساعده اذا ماحاول الفوهرر خلق المتاعب له ، ذلك لانه اذا كان هيس قد طار دون علم هتلر حقا فان مستر مسر شميث ـ بصفته صاحب مصنع الطائرات ـ كان سيواجه تهمة الخيانة العظمى .

وكان بورمان نائب هيس ـ الذى تاثر مركزه السياسى فى الشهور الاخيرة ـ يعتقد انه من غير المعقول أن يوافق تشرشل على عقد صلح مع المانيا ، وان اختفاء هيس وما يتبع ذلك من مهاجمة هتلر له والحط من قيمته كل ذلك سيؤدى الى عدم اهتمام الالمان بتصرفاته واعماله .

ونظرا لانه كان مساعدا لهيس فقد رأى ـ أى بورمان ـ فى كل ماحدث فرصة سانحة لتحسين مركزه ، ولذلك فقد التزم الصمت حتى يوم الاثنين عندما قرر هتلر ألا ينتظر اكثر من ذلك ويعلن عن اختفاء هيس ـ فاستنتج من ذلك أن هتلر لايمكن أن يتصرف على هذا النحو مالم يكن لديه أسباب وجيهة . وعندئذ فقط قرر مساعد هيس أن تدخل خطته حيز التنفيذ وبدأ فى الحط من قيمة هيس عن طريق النيل من زوجته الزا .

وقد اصر هتلر على أن يكون البيان الخاص بحادث هيس مرنا بحيث يمكن سحبه أو تعديله وبعد كتابة عدة مسودات له تمكن ديترينش من كتابة المذكرة الصحيحة وعلى ذلك فقد اعلنت اذاعة ميونخ البيان التالى مساء يوم الاثنين :

« لقد اعلن الحزب القومى الاشتراكى أن العضو رودلف هيس ـ الذى كان يعانى من المرض منذ عدة سنوات ، ومنع بصفة صارمة من القيام بأى نشاط فى الطيران ـ قد تمكن من الحصول على طائرة .

وفى يوم السبت الموافق ١٠ مايو طار من أوجسبرج ولم نعد حتى الآن .

وقد ترك خلفه خطابا يظهر منه للأسف أنه يعانى اضطرابا عقليا .. ويخشى أن يكون ضحية لاختلال فى قواه العقلية .

وقد أمر الفوهرر فورا بالقبض على مساعدى هيس الذين كانوا على علم بمحاولته الطيران ولم يبلغوا عنها أو يمنعوا قيامه بها مخالفين بذلك أوامر الفوهرر .

وفى هذه الحالة يجب أن يعتبر أن هيس اما قفز من الطائرة أو أصيب بحادث » .

وفى روما سمع الكونت شيانو وزير الخارجية هذا البيان الغريب الغامض ولم يصدقه .

وكتب فى مذكراته فى هذا اليوم(١) : اعلن بيان المانى غامض وفاة

---

(١) مذكرات تشيانو : Ciano's Dyplomatic Papers

هيس في حادث طائرة . ولا يمكنني ان اخفي ريبتي في صحة هذه الرواية وانا اشك في مسألة موته فهناك شيء غامض بالرغم من ان الفيرر (السفير الايطالي في المانيا) يؤكد صحة هذا الحادث .

وقد ارسل هتلر وزير خارجيته ريبنتروب الى روما ليبلغ الدوتشي بالرغبة في عرض صلح منفرد مع انجلترا .

ولكن شيانو مازال بالرغم من ذلك غير مطمئن بخصوص هذا الحادث وقد كتب في مذكراته في اليوم التالي : ان مسألة هيس لها صيغة الانباء المحكمة التأليف . ان نائب هتلر وثاني رجل في القيادة . هذا الرجل الذي كان يقبض بيديه لمدة خمسة عشر عاما على اقوى منظمة المانية قد هبط بطائرة في سكوتلندا . لقد هرب تاركا وراءه رسالة الى هتلر .

ان الامر جد خطير في رأيي . انه النصر الاول الحقيقي للانجليز .. ولقد اعتقد الدوتشي أول الامر أن هيس اضطر للهبوط عندما كان في طريقه الى ايرلندا لبث روح الثورة بين أهلها ولكنه سرعان ماتبنى هذه الفكرة وشاركني الرأي بأهمية هذا الحادث .

لقد كان وصول ريبنتروب الى روما امر غير متوقع الحدوث . لقد كان واهن العزم عصبيا . وأراد ان يتباحث مع الدوتشي ومعي في عدة مسائل ولكن هناك مسألة واحدة فقط كانت سبب حضوره لقد كان يريد أن يتبئنا بحادث هيس الذي تناولته الصحافة في كل انحاء العالم .

البيانات الرسمية تذكر ان هيس . المريض بالجسد والعقل . وكان ضحية مرض الحساسية ضد الحرب . ذهب الى انجلترا بدون عقدمعاوضات الصلح . وعلى ذلك فهو ليس خائنا . ولن يتكلم وكل مايقال وينشر عنه غير صحيح .

ان محادثاته كانت تدل على رجاحة العقل وحسن التصرف . ان الالمان يريدون تغطية أنفسهم قبل ان يتكلم هيس ويكشف أمورا قد تكون ذات أثر عظيم في ايطاليا .

وقد راسى موسوليني قول ريبنتروب ولكنه قال لي بعد ذلك . انه يعتبر حادثة هيس ضربة قوية للنظام النازي وأضاف قائلا انه مسرور لذلك فهذه الحادثة سوف تقلل من كبرياء الالمان حتى مع الايطاليين .

ولم يمكث ريبنتروب في روما سوى يوم واحد . وقد كتب شيانو معلقا على هذه الزيارة بعد سفر ريبنتروب فقال :

على عكس ماكان متوقعا فان الدعاية الانجلو امريكية عن حادث هيس معتدلة للغاية . والبيانات الوحيدة الصادرة هي برقيات ورسائل الالمان الملتوية .

وفي يوم الجمعة الثامن وصول هيس سكوتلندا كتب شيانو

لقد عدات المكتبات حول حادث هيس وحتى الصحف البريطانية ذكرت انباء رحلة صلح غامضة ووصلت الى حد القول عن وجود اتفاق سابق بين هتلر وهيس عن هذه الرحلة وهذا امر مضاد لتصريحات ريبنتروب .

أما الزا عيس فحتى يوم الاثنين بعد مغادره زوجها ظلت لاتعرف شيئا عن الاضطراب والمشاكل التى خلقها . فهى لم تصدق وعده لهـا بالعودة يوم الاثنين . ولكن تصرفاته كانت شاذة ولا يمكن تبريرها لدرجة ان رحيله المفاجىء لم يزعجها . وبعد ظهر يوم الاثنين عرضت فيلما سينمائيا على موظفى مكتب زوجها فى الحجرة التى تطلق عليها العائلة . حجرة العمل العظيمة، وهى خاصة بزوجها . وعند منتصف عرض الفيلم غير احـد مساعدى زوجها وكان شقيقا لاحدى صديقاتها الحميمات ولذلك فقد ناداها باسمها الاول وكان يتخبط فى الظلام ويكاد يقسع فوق بعض الكراسى ويتفرس فى الوجوه وذلك رغبة منه فى اكتشاف اين تجلس الزا مكرزا لدائه .

الزا ... الزا !..

وأخيرا وجدها وجلس على مقعد خال بجوارها وقال بصوت منفعل .

– لقد حدث شىء فظيع لرب الاسرة .

– ماذا حدث ؟

– لقد مات .. تحطمت طائرته فى البحر .

– فى البحر ؟ رددت الزا عيس . هذا الكلام غير معقول . اى بحر ؟ وأين كان ؟ وماذا كان يعمل ؟ من اخبرك بذلك ؟

وابتلع الرجل ريقه بعصبية . لقد جف حلقـه من الخوف واجاب باسف :

– لايمكننى أن أقول ، لقد ذكرت لك كل ماأعرف . انى سمعت فى الاذاعة شيئا مجرد الكلمات الاخيرة لبيان ما .

وحملقت الزا عيس فى وجهه مندهشة زعر مصدوه . فانكمش ازاء نظراتها المباشرة ثم استطرد قائلا :

– يحسن أن تغيرى ملابسك فسوف يأتى الناس بروبيت ومواساتهم

وكان عقلها مشوشا بالافكار التى تعذبها ولكن اذا كان هذا هو المصير الذى قابل زوجها نائب الفوهرر . فمن المؤكد أن هتلر يعرف الكثير عن هذا الحادث .. لقد كانت وزوجها من اصدقاء هتلر المقربين منذ بداية حياته السياسية حتى أن هتلر هو الذى اقترح زواجهما . فيالعجب .. اذا لم يتصل بها اذن بخصوص هذه الحادثة .. وسرعان مالزاحت هذه الافكار من ذهنها . على كل حال ان هتلر الآن مشغول لدرجة كبيرة جدا . انه يدير دفة الحرب وقد لايكون عنده الوقت الكافى ليقوم بهذا العمل . وربمـا لايعلم هو نفسه بهذا الخبر .

وقالت الزا : يجب ان أكلم الفوهرر فورا . أرجـو ان توصلنى به تليفونيا . انه الآن فى برختسجادن .

ورد المساعد فجأة : ذلك أمر مستحيل وأجابت الزا :

ـ هذا كلام فارغ ، سأتصل به بنفسي ووقف الآخرون جانبا حتى تتمكن من مغادرة الحجرة وبمجرد أن خرجت منها وأغلقت الباب سمعت ضوضاء حديثهم ومشت الى مكتب زوجها وطلبت برخنسجادن ، وأثناء انتظار المكالمة التليفونية بدأت تحس بتأثير الانباء التي سمعتها أخيرا .

هل مات رودلف حقا .. أو هل حدث شيء أفظع وأشد خطورة يخفونه عنها ؟ . وبدأت تشعر بأنم روحي وجثماني ولكن رنين التليفون قطع حبل أفكارها ثم امسكت بالسماعة وذكرت اسمها لعاملة التليفون وكانت تظن أن ذلك كاف للاتصال فورا بهتلر ولكن لم يكن الامر كذلك فقد أخبروها بأنه لن يمكنها أن تتحدث معه فهو مرتبط بمواعيد هامة ولا يمكن ازعاجه مهما كانت الحال . فهل تود في محادثة اي شخص آخر ؟

فطلبت على مضض أن تتحدث الى مارتن بورمان، وبالرغم من أنه ليس صديقا لها أو لزوجها فانه نائبه وان كان هناك من يعرف حقيقة ما حدث فانه هو ذلك الرجل .

في الواقع كانت العلاقة بين الزا وبورمان ليست طيبة لاسباب عديدة ، فأولا كانت الزا لاتأتمنه وتشعر ـ بحق ـ انه يعمل بكل جهده لطرد زوجها من منصبه ليخلو له . وثانيا لقد نصحت ذات يوم أخاه الاصغر البرت بألا يستمع الى نصائح بورمان عن زواجه بأحدى صديقاتها وشجعته على هذا الزواج رغم اعتراض أخيه عليه ، ولم يغفر لها مارتن ذلك ولم يكن يميل الى الفتاة ، وكان حديثها معه الآن أول محادثة تليفونية من ذلك الوقت وكانت ايضا الأخيرة حتى قرب نهاية الحرب ، فقد رأى بورمان وقتئذ أن الهزيمة لامفر منها وهو في حاجة الى اصدقاء فاتصل بها فجأة وقد سبق له ان أساء اليها طالبا منها المساعدة في ساعة المحنة .

وعندما اتصلت به الزا في هذا الظرف العصيب رد عليها ، وكان قد قرر بينه وبين نفسه ألا يساعدها . فراو هيس .. أنا لاأعرف شيئا .. وعليك أن تنتظري حتى نحصل على معلومات أخرى . والى أن يتم ذلك سأبعث لك مساعدي دكتور هانسون ليراك وأريد منك أن تتعاوني معه .. مع السلامة .

وهكذا انتهت المكالمة التليفونية فاتصلت الزا بعدئذ بشقيق زوجها في برلين ثم جلست تنتظر وصول الدكتور هانسون . ولم يصل الا بعد منتصف الليل .

وكم كانت دهشتها عندما لاحظت أنه بدلا من أن يساعدها في محنتها ويمدها بالمعلومات عن الحادث فانه أخذ في استجوابها وطلب منها أن تعاونه ولم يبد عليه أنه صدقها عندما أكدت له أنها لاتعلم شيئا عن اختفاء زوجها اللهم الا أنه ودعها بعد ظهر يوم السبت وذهب سكرتيره الى اوجسبرج مرتديا ملابس الطيران . وقالت له انها متأكدة من أن جميع موظفي مكتب زوجها بما فيهم الدكتور هانسون . يعرفون رئيسهم جيدا وانهم يعلمون تماما انه لايمكن مطلقا ان يناقش أسرار الدولة العليا مع زوجته .

وعندئذ قال لها : اذا سربت أية كلمة مما تعرفينه ، أو بالاصح من المفروض انك تعريفنه فسوف يلقى القبض عليك . لم استدار على عقبيه وغادر الحجرة(١) ٠

وكان من الواضح أن هدف هانسون كان اكتشاف ماإذا كانت زوجة هيس تعرف أن ثهتلر صلعا فى الأمر٠ فقد كان هناك احتمال ولو كان قليلا فى أن هيس لم يكن حكيما وأخبر زوجته بأمر كهذا . وفى صباح يوم الثلاثاء حضر البروفسور هوشوفر لرؤيتها وقد كان مهتما بتتبع الاسباب التى تختفى وراء رحلة زوجها ، فقد اشترك فعلا فى المحاولات الاولى للاتصال بالبريطانيين ٠ وقد أصر هوشوفر ـ على حق ـ الى يوم محاكمات نورمبرج عندما طلبت شهادته ـ على أن هتلر ارسل زوجه فى هذه المهمة أو كما عبر عن ذلك عن عمد أنه ضحى بزوجها ٢) ٠

وعندما ترك هوشوفر الزاهيس شعرت بالتعب وخيبة الأمل والشك وأخذت ابنها الصغير بين ذراعيها ، وغلبها التعب فنامت فوق الكرسى وهى متعلقة بابنها ، ونجاة أيقظها أحد موظفى مكتب زوجها وكان متفعلا للانباء التى سمعها عن رب الأسرة ، جاء فى احدى نشرات محطة اذاعة ميونخ أن محطة الاذاعة بلندن B.B.C. اذاعت أن زوجها حى يرزق وقد نزل فى سكوتلندا ٠

---

(١) كتاب سجين السلم Present of Peace المقدمة بقلم الزا هيس Ilse Hess

(٢) ذكر الكولونيل اوتو سكور زنى الذى انقذ موسوليني من الأسر بناء على أوامر هتلر بعد أن طلبت ايطاليا الصلح فى ٨ سبتمبر ١٩٤٣ أن هتلر كان سيتنكر له اذا لم ينجح فى مهمته بنفس الطريقة التى تبرأ بها من هيس عندما فشلت محاولته ٠
Serial of his life, Daily Express, April 15, 1952

الفصل التاسع
حديث في قلعة

وفي قلعة بوكانان كان هيس يقضي يكل مايدور بخلده الى ايفون كيركباتريك والى دوق هاملتون .

لقد أحضر معه مجموعة من المذكرات ، وكان يرجع اليها من آن لآخر وأشار في تقرير طويل الى العلاقات البريطانية الالمانية في السنوات الاربعين الماضية وروى تاثير السياسة البريطانية بما بها من خداع وأنانية في احباط امانى المانيا الشرعية(١) .

وفي خلال هذا الحديث الطويل امل كاد دوق هاملتون أن ينام فقد كان متعبا من رحلته ومن هذا الحديث التشهيري الذي لافائدة منه ، أما بالنسبة لهيس فقد سبق له أن نام مدة ساعتين أو اكثر ، وكان يشعر بنشاط ويرغب في الاستمرار في الكلام ، وكان لديه الكثير ليقوله حتى انه حتى الساعة الثالثة من صباح يوم الثلاثاء لم يصل الى النقطة الهامة وهي لماذا جاء على حين لم يطلب منه أحدالحضور . ولماذا وصل بهذه الطريقة الغريبة ؟

أما كيركباتريك فقد كان يعلم مع أي نوع من الرجال يتحدث ، وعلى ذلك فقد رفع يده ليوقف هذا السيل من التكرار والاعادة وأصر على انهمن الضروري أن يفسر لماذا جاء الى بريطانيا وماذا يريد ان يعمل بعد أن وصل اليها .

فأجاب هيس انه جاء شخصيا ليقنع مستر تشرشل وحكومته بانه لاأمل لبريطانيا في كسب الحرب وانه في هذه الاحوال يكون من الحكمة أن تبدأ في عقد مباحثات صلح . لقد طرد الجيش البريطاني من اوروبا منذ حوالي سنة ، وليست لديه الوسيلة أو المقدرة على العودة اليها وسوف تزداد الغارات الالمانية فوق بريطانيا حدة وعددا وبالتدريج ، كما ستغرق قوافل سفن التموين ، وستموت بريطانيا جوعا بسبب مقاومتها . ومن المحتمل أن تختفي من الوجود .

وأخيرا فان الحكومة البريطانية ستكون مرغمة على طلب الصلح ، لانها لن تستطيع الاستمرار في الحرب . ووصف هيس مستقبل انجلترا بانه كئيب مظلم وليس هناك سوى أمل بسيط في النجاة .

وسكت هيس ليرى أثر حديثه على مستمعيه وسأله كيركباتريك:هل سيغزو هتلر بريطانيا ؟

---

(١) Inner Circle, Sir Ivan Kirkpatrick

ورد هيس : أنا لاأعلم حقا(١) . وكان يشعر أن الأمر الأكثر احتمالا هو عزل بريطانيا بالتدريج عن حلفائها الى أن تصل لمرحلة من اليـــأس والقنوط وفقدان الأمل .

ولقد كتب كيركباتريك فيما بعد (٢) : لقد ذكر هيس أنه من أقرب المقربين للفوهرر وأنذاك فقد كان في وضع يسمح له بأن يتـــكلم بكامل ســـلطانه ، وقد أكد لي أن الفوهرر ـ الذي كان ينظر الى بريطانيـــا وامبراطوريتها نظرة كلها تقـــدير ـ مستعد لعقـــد صلح كريم بالشروط التالية :

سيادة ألمانيا على القارة الأوربية واعادة المستعمرات الالمانية السابقة اليها في مقابل أن تضمن ألمانيا بقاء سيادة بريطانيا على امبراطوريتها فيما وراء البحار سليمة لاتمس .

ومما لاشك فيه أن هتلر لايقبل أن يتفاوض مع مستر تشرشل ، وعلى ذلك يجب تعيين رئيس وزراء آخر يبدأ في المباحثات معه، وفي نفس الوقت طلب هيس اطلاق سراح سجين حرب ألماني يعمل سكرتيرا خاصا ومساعدا له فيما أسماه : « مؤتمر الصلح القادم » .

وكانت الساعة الرابعة صباحا عندما انتهى هيس من كلامه ، وبدأت خيوط الفجر تتسلل في السماء ، وعندئذ استأذن منـــه دوق هاملتون ومستر كيركباتريك وغادرا الحجرة .

وفي الساعة الثامنة والنصف اتصل كيركباتريك بوزارة الخـارجية خليفونيا ونقل اليها ملخصا مختصرا للحديث الذي دار ، وقد قالوا له ان الحكومة قلقه من هذا الموضوع ولا تعرف كيف تتصرف تماما وانهم يكونون شاكرين اذا ماذكرت أية تفصيلات عن مظهر الســجين ، وماذا يأكل وما شكله .. وهكذا .. ان هذا سوف يساعدهم على ارضاء فضول الصحافة وقد أملى كيركباتريك تقريرا وافيا عن مقابلته مع هيس وأرسله الى لندن على طائرة خاصة .

ولم يتسلم ردا حتى صباح اليوم التالي . وفي ذلك قرر مصاحبة دوق هاملتون في زيارة خاصة الى HMS Victorious وهي حاملة طائرات حديثة ولكن سرعان ماوصلته رسالة من وزارة الخارجية تطلب منه أن يستمر في مقابلة هيس .

وقرر كيركباتريك الاتصال تليفونيا بوزارة الخارجية واستفهم عما يجب أن يتحدث فيه معه فقد نفذ كل التعليمات وهو متأكد من ان هيس أخبره بكل ماعنده .

وكان الرد ديبلوماسيا .

« ان الموضـوعات التي ستبحثها معه متروكة لحسن تقديرك ولياقتك »

---

(١) Inner Circle

(٢) Ibid

وعلى ذلك عاد كيركياتريك مرة ثانية الى ڤاعة بوكانان ولكنه لم يشعر باى حماس وهو فى طريقه لتنفيذ مهمته ، وعلى العكس من ذلك فقد كان هيس سعيدا بهذه الزيارة ولكنه اظهر استياءه وخيبة امله عندما تبين له أن اجراء ما لم يتخذ فى الحال بخصوص اقتراحاته .

لقد كان يتوقع عملا سريعا ، ولهذا السبب ، ولاعتقاده بانه سيعود الى المانيا خلال عدة ساعات ، فانه لم يحضر معه ملابس سوى التى يضعها على جسمه ، ولم يحضر كذلك أية ادوات لتزينة ولا حتى فرشة الأسنان واشار الى ان السلم امر عام جدا . وان هتلر ليس بالرجل الذى يمكن التغلب عليه بسهولة .

أما بالنسبة له شخصيا فقد صرح هيس بانه ليس راضيا مطلقا عن الترتيبات التى اتخذت لتيسير راحته. فانه فضلا على كونه وزيرا فى الرايخ ونائبا للفوهرر ، فان الحراس خارج حجرته يلبسون أحذية بها الكثير من المسامير البارزة ويضربون الأرض ، وهم يسيرون بطريقة شعر منها أن الأوامر التى لديهم تقتضى مضايقته ، كما أن الاضاءة فى حجرته شديدة لدرجة أنها تؤذى عينيه ، وعندما طلب منه الطبيب أن يرقد على الاريكة ليفحصه ويرى اذا كان قد أصيب بشىء آخر غير التواء قدمه بعد قفزه بالمظلة أظهر استياءه لعدم وضع ملاءة نظيفة ليرقد عليها ، وأشار الى أنه من المحتمل أن يصاب بمرض جلدى من النوم على هذه الاريكة التى لاشك قد استعملها الكثيرون قبله .

ان اهتمام هيس بصحته ليس بالشىء الجديد ، فلقد رفض لعدة سنوات أن يتناول فاكهة أو خضرا استعمل فى زراعتها السماد الصناعى ، ولم يكن يتناول البيض او الأطعمة المجففة لانها فى نظره غير نقية .

ولقد كان كيركياتريك على علم بطبيعته ومزاجه ، وعلى ذلك فقد استمع لشكاواه وبعد ذلك زاره مرة ثانية بناء على التعليمات التى تلقاها ، وخلال مباحثاتهما سأله عن آرائه فى الخلف الروسى الالمانى ، وهل هناك أى احتمال ولو قليل يدل على أن هتلر قد يقرر فجأة مهاجمة روسيا .

فاجاب هيس بان هذا السؤال خارج عن الموضوع الذى جاء من اجله ، وعلى العموم فان هتلر رجل يلتزم بدقة بكل تعهداته وقد رأى كياتريك فى هذا الرد أن هيس ليس على علم بمجريات الامور وانه لا يعلم شيئا عن هذا الموضوع .

وفى الواقع لقد كان هيس على علم بهذا المشروع ولم يكن موافقا عليه ، لان هذا التصرف يقتضى القتال فى جبهتين ويؤدى الى طول خطوط المواصلات ، وكلا الامرين خطير ، اى القتال فى جبهتين وطول خطوط المواصلات وأن المخاطرة بالهجوم مع وجود هذين العاملين ليست سوى نكبة ، وقد أثبتت الاحداث فيما بعد صحة هذا الراى) .

ولقد بدأ الاستعداد لهجوم هتلر على روسيا من ١٨ ديسمبر سنة ١٩٤٠ — اى فى الوقت الذى وصل فيه هيس الى سكوتلندا — وكان الهدف من هذه الخطة هو سحق روسيا فى معركة سريعة قبل انتهاء الحرب ضد بريطانيا ، اذ اعتقد هتلر بأن بريطانيا تتلقى معونة من

روسيا بصفة سرية . والا فقد كان يجب عليها ـ طبقا لكل قوانين الحرب ولما يقضى به المنطق ـ ان تستسلم من وقت طويل . كما انه كان يأمل في الاستيلاء على المواد الاولية من روسيا ، هذه المواد التى كان مضطرا لشرائها طبقا للاتفاقية السوفيتية الالمانية .

وكان هيس يفضل اثناء وجوده فى قلعة بوكانان ان يبحث امورا أقل خطورة مع ايفون كيركباتريك ، وعاد مرة ثانية الى الشكوى فلا توجد لديه كتب المانية ليقراها ، وهو لايحب الضابط المكلف بحراسته، كما انه يعتقد أنهم يضعون له السم فى الطعام .

وفى هذا الوقت كان تشرشل قد أعطى تعليماته من لندن بخصوص معاملة هيس وارسل مذكرة بذلك الى مستر ايدن ملخص ما ورد بها :

١ ـ معاملة هيس كسجين حرب فهذا الرجل مثل زعماء النازى الاخرين مجرم حرب وسوف يعلن فى نهاية الحرب انه هو وزملاءه خارجون على القانون .

٢ ـ يجب ان يعزل فى مكان مناسب ، غير بعيد عن لندن ، ويجب بذل كافة الجهود لدراسة حالته العقلية وكيفية الوصول الى كل ماعنده من معلومات .

٣ ـ يجب تيسير اسباب راحته والعناية بحالته الصحية وتزويده بالطعام والكتب وادوات الكتابة وكذلك الترفيه عنه . كما يحرم عليه الاتصال بالعالم الخارجى ولا يسمح بزيارته الا بناء على تصريح من وزارة الخارجية . كما يجب أن يعين لحراسته حراس خصوصيون والا يقرأ الصحف او يسمع الاذاعة ، ويجب أن نعامل باحترام كما لو كان قائدا عظيما وقع اسيرا .

ولذلك فقد نقل هيس الى قلعة لندن زيادة فى الحرص فربما تحدث محاولة لاختطافه كما حصل مع موسوليني . ولم يكن هيس يعلم فى اى وقت ولا اى مكان نقل اليه ولكنه سرعان ما عرف ذلك عن طريق ضابط حديث فى حراسته ، كان شغوفا بالحصول على توقيعه فى «الاوتوجراف» وعندما طلب من هيس التوقيع قال له :

« بالطبع . ولكن يجب عليك أولا أن تحضر لى ورقة لاوقع عليها».

وفى غمرة السرور والفرح أحضر الضابط أقرب ورقة وجدها . وكانت من ورق الخطابات المطبوع عليه « قلعة لندن » واعطاها لهيس. فاخذها منه وابتسم ثم قال « اذا هذا هو المكان » واعادها اليه دون توقيع . وكان هيس يقيم بالغرفة التى كان يشغلها سير روجر كاسمنت قبل اعدامه فى سنة ١٩١٦ .

ونظرا لان تشرشل كان يعرف جيدا ما قد يشاع فى امريكا من الاخبار عن رحلة هيس فانه أرسل مذكرة فى ١٧ مايو سنة ١٩٤١ للرئيس روزفلت عن هذه الرحلة وما ادلى به هيس من اقوال ومعلومات .

وقد نقل هيس بعد ذلك الى قصر ميشيت بالقرب من فارنبورج

واتخذت احتياطات مشددة لحراسته ولاخفاء امر نقله عن الناس . حتى ان كيركياتريك ذهب الى لندن بعد أن غادر هيس قصر بوكانان بيوم حتى يعلم الناس انه لا يزال موجودا فى هذا القصر .

وقد قابل كيركياتريك مستر تشرشل ومستر ايدن واحاطهما علما بكل بما جرى فى اجتماعاته ومباحثاته مع هيس واقترح عليهما أن يسمح لأحد رجال المخابرات من ذوى الخبرة والمشهود لهم بالكفاءة والالمام بالمسائل السياسية بمقابلة هيس ، فربما يستطيع أن يحصل منه على معلومات وبيانات اخرى .

ولم يأخذ تشرشل بهذا الاقتراح . فقد كان يخشى أن يشاع بين افراد الشعب البريطانى فى البلاد الاخرى التى لم تشترك فى هذه الحرب بانه مهتم بمباحثات الصلح مع هيس ، خصوصا وان الصحف البريطانية قد اخذت تتبارى فى الحديث عن هيس وعن المهمة التى جاء من أجلها فذكرت احدى الصحف انه هرب من المانيا لانه يعتقد ان هتلر سيخسر الحرب وذكرت صحيفة اخرى ـ وكان قولها قريبا من الحقيقة ـ انه جاء للتفاوض فى الصلح . .

وفى ذلك الوقت ، وبالرغم مما قد يقال الآن ، فان اقتراح انهاء الحرب وعقد الصلح بين البلدين كان يلقى ترحيبا فى كثير من بلاد العالم، فبعد مرور عشرين شهرا من الحرب ذاقت انجلترا مر الهزيمة والهوان فى فرنسا وفى اليونان وفى شمال افريقيا كما خرب بعض مدنها ومبانيها الاثرية واصبحت حطاما .. وان الحديث عن الصلح يكون امرا مقبولا يتمنى الجميع تحقيقه ونجاحه . اذ فى ليلة السبت التى هبط فيها هيس الى اسكوتلندا تعرضت لندن لغارة جوية عنيفة ألقيت فيها أطنان من القنابل ، ٩٠٠ طن ، على العاصمة البريطانية وتوفى فيها ١٥٠٠ شخص ـ كل هذا فى غارة جوية واحدة ـ وما كان أكثر الغارات الالمانية على بريطانيا ـ هذا هو مقياس الالم الذى عاناه الشعب البريطانى ليلة بعد ليلة .

وبالاضافة الى ذلك فهناك عوامل اخرى زادت فى محنة الشعب البريطانى وازمته ، مثل نقص المواد الغذائية وتطبيق نظام البطاقات بصرامة ، وعدم وجود وقود كاف فلقد سمح لكل صاحب عربة بخمسة جالونات بنزين فقط فى كل شهر ، والملابس اصبحت توزع بالبطاقات ... الخ .

وفى هذه الظروف القاسية فكر الكثيرون فى أن الصلح بأى شروط غير مهينة افضل من الحالة التى وصلوا اليها .

وعلى ذلك فاذا احس الناس بأن هيس قد وصل ومعه التفويض والسلطة لاجراء مباحثات الصلح فان هذه الانباء سوف تسرى فى كل انحاء بريطانيا سريان النار فى الهشيم .

وسيترتب على ذلك تراخى فى انتاج المصانع كما أن الشعور بالكراهية نحو الالمان سيقل ، فما هو الهدف من شن حرب ما دام يمكن الحصول على السلم بهذه السهولة والسرعة وفى هذه الحالة قد يصبح

من الصعب ان لم يكن من المستحيل على تشرشل ان يحافظ على بقاء الروح المعنوية للشعب وهذا امر ضروري اذا ما ثبت عدم صحة هذه الشائعات .

وكان في امكان الحكومة ان تدعي ان هيس قد وصل البلاد وليس معه تفويض باجراء الصلح ، وكان في الامكان ايضا الحط من قدره والنيل من شخصيته ومهاجمته في قسواه العقلية وذلك بترديد مايقال عنه في المانيا نفسها . ولكن بالرغم من ذلك فقد كان من الصعب عليها أن تنتزع من عقول الناس وأفكارهم ان هنالك شيئا ما في الموضوع وانه لا داعي للحرب اذا كان العدو نفسه يعرض الصلح .

لقد كان تشرشل على علم تام بهذه المسائل وانه اذا ما بدأت شائعات عن النية في عقد مباحثات للصلح فانها لا تلبث أن تنتشر بسرعة فائقة ، وعلى ذلك فقد قرر اتخاذ اجراء تكون نتيجته عدم الثقة في هيس وبالتالي عدم تقدير تصرفاته وأقواله .. حتى يظهر للناس ان زيارته للبلاد ليست سوى أمرا تافها لا أهمية له . وعمل شخص غير متزن يقوم به على مسئوليته وبدون أي تفويض ، وبمجرد اظهار ذلك أمام الشعب فانه لن يهتم به ولا بتصرفاته ولن يخشاه ..

وعلى ذلك وضع هيس تحت رعاية أطباء نفسانيين وكان لهذا التصرف رد فعل سريع خصوصا بعد أن أعلن هتلر ان هيس كان يعيش في حالة هذيان ـ وقد كان ذلك كافيا لعدم الثقة فيه ونظر اليه الجميع على انه شخص مجنون . وفي الحقيقة كان هيس متمتعا بكل قواه العقلية .

لم يعرف هيس انه محاط بمجموعة من الاطباء النفسانيين الا بعد مرور عشرة اشهر وما لبث أن أصر على مقابلة مندوب عن الحكومة من مجلس الوزراء .. وقد طلب مستر تشرشل من سير جون سيمون وزير الخزانة ان يراه عله يحصل منه على أخبار او معلومات ذات قيمة عن نوايا هتلر وأسراره .. وبناء على ذلك سافر وزير الخزانة لمقابلة هيس ومعه كيركباتريك .. وقد طلب هيس ان يسمح لشخص ألماني بان يشهد هذا الاجتماع وقد أجيب الى طلبه ؛ واحضروا له أحد الضباط الالمان من الاسرى .

وقبل أن يعرف موعد الاجتماع او ما قد يحدث فيه رفض هيس أن يتناول غذاءه ما لم يأكله معه رجال الحرس حتى يطمئن الى انه لم يدس فيه سم او مادة مخدرة .. وفي يوم الاجتماع لم يأكل هيس شيئا بل اكتفى بشرب كمية كبيرة من اللبن ثم ارتدى بذلة الطيران الرسمية وكان في حالة نفسية عالية .. فقد كان يعتقد وقتئذ انه أهم شخص في كل من انجلترا والمانيا ، وانه الشخص الوحيد الذي يعرف ان هتلر سيقوم بالهجوم على روسيا في ظرف اثنى عشر يوما ولم يكن يعرف بطبيعة الحال ان انجلترا على علم بهذه الخطة وأن تشرشل أخطر بها ستالين وحذره من هذا الهجوم ولكنه لم يستفد من هذه النصيحة .. بستعد لهذا الهجوم في الوقت المناسب .

وفى الاجتماع اخبر هيس سير جون سيمون انه فكر لاول مرة فى الطيران الى انجلترا عندما كان مع هتلر اثناء غزو فرنسا . ثم قال « ونظرا لاعتقادنا الجازم باننا ستهزم انجلترا ان عاجلا او آجلا فقد عرضت على هتلر أن يطلب من انجلترا أن تعيد الينا كل ما اخذته هى او غيرها منا بمعاهدة فرساى فوافقنى على ذلك فى الحال وكان من رأيه : أن هذه الحرب يمكن أن تنتهى بالصلح مع انجلترا » ثم قال : « حتى فى حالة الانتصار فانه يجب على الغالب الا يفرض شروطا قاسية على الدولة التى يريد عقد اتفاق معها . واننى اعتقد انه اذا ما علمت انجلترا بهذه الحقيقة فانها تكون على استعداد لعقد الصلح .. »

وهكذا نقل لهما آراء هتلر . اما فيما يراه هو شخصيا فقد قال « يجب ان أعترف لكم باننى واجهت بحضورى الى هنا موقفا خطيرا جدا وهو أخطر موقف واجهته فى حياتى كلها . واننى لم أتصرف على هذا النحو لمصلحة الالمان بل لمصلحة الانجليز ايضا اذ لا تبرح مخيلتى المناظر المحزنة من موت ودمار سواء هنا أو فى المانيا بسبب هذه الحرب » .

ثم أخذ يكرر مساوئ معاهدة فرساى والظلم الذى وقع على المانيا منها ، وقد فهم الحاضرون من حديث هيس ان الغارات البريطانية على المانيا ولو انها كانت قليلة فقد كان لها بعض التأثير لانه قال ان الفوهرر لا يزال مترددا فى القيام بهجوم جوى مضاد ، ولكن اصوات الامهات الثاكلات فقدن أولادهن والعائلات التى فقدت عائلها ترن فى اذنيه منادية بالانتقام لها . وانه اذا ما وصل الى أن صوت العقل والحكمة لم يعد له وجود فى انجلترا فانه سيتصرف طبقا للمبادئ التى كان ينادى بها الاميرال لورد فيشر « الاعتدال فى الحرب نوع من الجنون واذا كنت ستضرب فاضرب بقوة بقدر ما تستطيع » ثم قال « اننى اذكر لكم انه من أسوأ الامور على ضابط واحد أن يعطى الاوامر للقيام بهذا الهجوم لانه دائما يشعر بالعطف والمحبة نحو البريطانيين الذين اصبحوا ضحية لهذه الحرب » .

وفى هذه اللحظة دفعه سير جون سيمون .

« سير هيس أرجو أن تفهم جيدا اننى لا اريد ان اختلف معك فيما تقول او أعترض على آرائك بالنسبة للحرب . وهذا ليس لاننى أوافقك فى وجهة نظرك ولكن لاننى جئت الى هنا لاستمع الى ما تقوله عن مهمتك ورسالتك وارجو منك أن تعلم أن الشعب البريطانى شعب ذو كرامة واعتزاز بنفسه وقوته وانه لن يوافق على مثل هذه الاقتراحات التى جئت بها » .

فقال هيس « ان محبتى لى هنا كان تحت تأثير ما يعتقده زعماء المانيا من ان انجلترا اصبحت وحيدة لا حول لها ولا قوة اما ما اعتقده انا بصفتى مثلا يتمتع الطيران وصديقا شخصيا لمستر شميت واعلم كل ما يجرى فى مصانع الطائرات واعرف جميع كبار رجال الطيران فاننى أعلم جيدا ماذا سيتسبب انجلترا ان آجلا او عاجلا وهذا من الاسباب التى جئت من أجلها » وهنا قاطعه سير جون سيمون قائلا :

« هل افهم من حديثك هذا انك تعتقد ان هذه البلاد ستواجه فى القريب العاجل غارات جوية عنيفة » .

فرد هيس بالايجاب .

وسأله سير جون سيمون « هل جئت الى هنا بعلم الفوهرر أم بغير علمه ؟ » .

وكان رد هيس « دون ان يعلم مطلقا » . ثم ضحك واعطاه ورقة مكتوبة عنوانها اسس التفاهم وقال بالانجليزية ركيكة « كل ما جاء بهذه الورقة سبق أن قاله لى هتلر اثناء حديثى معه فى عدة مناسبات .

وكانت الورقة تحتوى على الاقتراحات العادية المألوفة التى كان يرددها زعماء الالمان وتنحصر فى أن تكون لالمانيا يد مطلقة فى اوربا مقابل ان تطلق يد بريطانيا فى امبراطوريتها وان تعقد هدنة يصحبها صلح مع ايطاليا وان تترك انجلترا العراق وان ترد المستعمرات الالمانية السابقة الى المانيا » .

وتبين انتهاء هذه المقابلة التى استمرت حوالى ثلاث ساعات اكد هيس لزائريه انه اذا لم توافق بريطانيا على هذه الشروط فسيأتى اليوم الذى تجد فيه نفسها مضطرة الى قبول ما هو اسوأ منها .

فقال له سير جون سيمون « اعتقد ان هذه الآراء الشخصية لن تكون ذات قيمة أو اهمية لمجلس الوزراء وانت تعلم جيدا ان لدى هذا الشعب قدر كبير من الشجاعة ولا يخاف من التهديد » .

وبعد هذه المقابلة وجد الاطباء هيس فى حالة يأس وارهاق شديدين فقد بدأ يدرك ان اعتقاده فى امكان عقد صلح بين انجلترا والمانيا كان خاطئا وقدم له أحد الاطباء كوبا من الشاى واللبن يستعيد به نشاطه وحيويته . ولكنه رفض ان يتناوله فأضاف اليه الطبيب كمية من الجلوكوز فنظر اليه هيس وقال له متذمرا « سأشربه اذا شربت أنت منه أولا » وبالفعل تذوقه الطبيب واكل قطعة من الكعك حتى يثبت له عدم وجود مادة سامة فى الشراب والطعام والكعك وبعدئذ وافق هيس على تناول هذا الشراب .

وبالرغم مما قد يقوله هتلر وما يعتقده هيس فانهم فى المانيا لم يشوا نائب الفوهرر وقد دبروا احدى المحاولات الجريئة لاختطافه . ولكنها لم تكلل بالنجاح وسواء كان هدف الالمان من هذه المحاولة انقاذ هيس او قتله حتى لا يفشى ما يعرفه من اسرار بعد أن عرف ان مهمته فى التفاوض من أجل السلام قد باءت بالفشل فهذا امر لن يتسنى معرفته مطلقا .

وقد قال الكولونيل ماكون قائد احدى الطائرات القريبة انه امكن اعتقال اثنين على الاقل من رجال النازى مرتديين ملابس مدنية عليها علامات المانية لم يسمح لهما الوقت بانتزاعها ومعهما طعام وسلاح المانى وعالقة بها بعض أجهزة الباراشوت التى هبطا بها .. وقد اعدم هذان الشخصان فيما بعد .

الفصل العاشر
الأطباء النفسانيون في صحبة هيس

والآن بعد ان وضح لهيس ان هذه الزيارة لا ترجى منها اية فائدة قرر ان يختصرها ويعود الى المانيا . وكان يرى ان من الممكن ان يأخذ مكانا على طائرة مدنية مسافرة الى لشبونة وهى بلد محايد والمواصلات الجوية بين المدينتين ـ لشبونة ولندن ـ كانت لا تزال قائمة وعلى اية حال فقد تجاهلت الجهات المسئولة هذا الطلب .

وأكد له برسيفال Percival انه اذا ما عاد الى المانيا فسيقتله هتلر رميا بالرصاص لانه طار دون علمه ودون الحصول على موافقته، ورفض هيس أن يصدق كلامه ، وقد ظل على اعتقاده بأنهم سيحسنون استقباله فى المانيا ثم قال انه اذا ما تعذر سفره الى لشبونة فمن السهل عليه أن يهبط بالمظلة فى المانيا كما هبط فى سكوتلندا .

ولم يعد هيس يشير الى هذا الموضوع بعد ذلك اذ سمع نشرة لانباء الاذاعة البريطانية تقول ان المستشفى الذى كان يحمل اسمه فى المانيا استبدل به اسم آخر ، وعندئذ ثم يتكلم هيس عن العودة فقد عرف انه أصبح الآن على الاقل شخصا غير مرغوب فيه .

وطلب هيس مقابلة الملك ليشرح له الامر ولم يتلق اى رد على هذا الاقتراح لقد وصل هيس كمبعوث بلا دعوة . والآن هو مضطر ان يظل فى مكانه ، أن هذه نهاية غير متوقعة لم يتصور امكان حصولها مطلقا لرحلته ، لقد سار كل شيء فى طريق خاطيء ولم يتحقق اى شيء مما كان يرجوه . لقد فشلت خطته وضاعت احلامه فى عقد الصلح ـ ان تشرشل لا ينوى عقد صلح بأى شروط سوى تسليم المانيا دون قيد او شرط ، وهو الآن سجين تحت حراسة الاطباء حتى لا يحاول الاضرار بنفسه ، وزاد اعتقاده بأنهم يضعون فى طعامه العقاقير والسم حتى يصاب بالجنون او على الاقل لارغامه على افشاء ما قد يعرفه من خطط هتلر .

وذات يوم وصلته هدية من زوجته عن طريق الهلال الاحمر وهى صندوق به شوكولاته ولكنه رفض ان يأكلها اعتقادا منه انها مسمومة ـ ولكن بيرسيفال عارضه فى رايه هذا وقال له : حسنا اذا كنت لا تريدها فهل تسمح ان ترسلها الى « الكنتين » فابدى عدم موافقته خوفا من ان يقضى على رجال الحرس واخيرا صرح لهم بأخذها وقال لهم «ولكنى انصحكم الا تاكلوها حتى لا تموتوا » ولكنهم اكلوا منها ولم يصب احدا منهم ضرر ولكنه لم يغير اعتقاده ابدا .

وبمرور الوقت زادت حساسيته . وكان يعتقد انه محاط برجال

المخابرات الذين سيقضون عليه سواء عن طريق ارغامه على الانتحار أو قتله بطريقة ما يظهر منها انه انتحر بمزج السم فى طعامه ولقد حاول الكولونيل جراهام أن يقنعه بعدم صحة هذا التفكير ولكن دون جدوى ، فاقترح أن يفحصه اطباء نفسانيون خصوصا بعد ان سمع منه حديثا عن ايامه الاولى فى الحزب النازى وعن آماله فى عقد الصلح وعن الخطط التى رسمها لهذه الرحلة .

وقد طلب من كبير الاطباء النفسانيين فى الجيش أن يفحصه فاجتمع بهيس وبعدئذ وافق على ان نائب الفوهرر فى حاجة الى علاج نفسانى وقال فى تقريره « ان هيس فى رأيى رجل مزعزع العقلية ومن المؤكد انه كان كذلك منذ سن المراهقة » .

وبناء على ذلك وضع هيس تحت رعاية الاطباء النفسانيين من ذوى الخبرة فى بريطانيا وعندما لمس اهتمامهم الشديد به رأى أن يزيد من انفعالاته ثم تظاهر بفقدان الذاكرة تماما وقد اعترف بعد ذلك فى محاكمات نورمبرج Nuremberg بأن تظاهره بفقدان الذاكرة كان مجرد حيلة منه .

لقد كان يأمل ان اعلان ضعف قواه العقلية سيكون شفيعا له فى العودة الى الوطن مع اسرى الحرب غير القادرين كما يعفيه من الوقوف امام محكمة نورمبرج .

وكان هيس يعتقد ان حراسه جميعا اعضاء فى مؤامرة كبيرة تدبر ضده ، وأن اليهود يقفون وراء مؤامرة القضاء على حياته . وكان من الواضح أن هيس فى حالة حزن ويأس شديدة نتيجة لفشل رحلته . وقد سيطر على حواسه وتفكيره الشعور بأن البريطانيين يسممونه بالتدريج ولذلك فقد كان يقترب بسرعة من أزمة عقلية .

ولهذا السبب انتظر جميع المحيطين به ما تتكشف عنه الحوادث وطلبوا من الضابط المختص بتلبية رغباته ان يكون متنبها وعلى حذر .

وفى مساء ١٥ من يونيو اى بعد مرور خمسة ايام على مقابلته مع سير جون سيمون وايفون كيركباتريك ـ وقبل الغزو الالمانى لروسيا باسبوع ـ زار الطبيب النفسى هنرى ف . ديكس Henry V. Dicks هيس فوجده مستعدا للنوم فطلب منه ان يأخذ منوما يساعده فى القضاء على الارق ولكنه رفض قائلا انه يستطيع النوم بدونه ، وعلى ذلك غادر الطبيب الحجرة ، ولكن سرعان ما صاح هيس فى حرسه .

« أننى أريد رؤية الطبيب . فانا لا استطيع النوم » . وأرسل الحرس فى طلب الطبيب ، وعندما اقترب من حجرته فتح الحراس الباب . وعندئذ شاهد هيس واقفا وقد ارتدى ملابس الطيران وسرعان ماجرى هيس وقفز من سور السلم ووقع فى الصالة السفلى يئن من الالم .

واسرع الحرس ومعهم مساعداتهم ولكن الدكتور ديكس صاح فيهم .

« لا تطلقوا النار ، لا تطلقوا النار .. » وقال هيس وهو يتلوى على الارض « اعطونى مورفين ، اعطونى مورفين » .

وركع الدكتور ديكس بجواره وفحصه ووجد ان رجله مكسورة فارسل فى طلب جراح من اقرب مستشفى عسكرى ، لعلاجه ، فوجده مصابا بنقل بسيط على عظمة الفخذ العليا ، فأعادها الى مكانها وتحمل هيس الألم رابط الجاش ثم حمل الى سريره وكان يبدو هادئا فى اول الامر ولكن سرعان ما اضطرب وهاج وصاح قائلا « النجدة النجدة » .

واسرع الجميع من كل الابواب جهة الصوت وحضرالدكتور ديكس وكان متعبا لانه عمل عملا متواصلا لمدة عشرين ساعة ووجه كلامه لهيس :

« ألا تخجل من نفسك . أنت الرجل الثانى فى الرابخ الالمانى ، تسبب لنا جميعا كل هذه المتاعب وبعد ذلك تصيح هكذا كالاطفال » .

وكان يهدف من وراء هذا الكلام الى أن يخجل هيس ويسكت وفعلا نجح فى ذلك .

الفصل الحادى عشر
تجاهل هيس

فى يوم الاثنين التالى لنزول هيس فى سكوتلندا دعى لورد بيفربروك لمقابلة مستر تشرشل فى ١٠ داوننج ستريت حيث أخبره بوجود هيس فى البلاد ، وكانت هذه الانباء تبدو مستحيلة وغير قابلة للتصديق .

وللدواع اقتضاها الامن زار بيفربروك معسكر «ز» تحت اسم مستعار هو الدكتور ليفنجستون كما فعل سير جون سيمون وايفون كيركباتريك حتى يظن الحراس انه أحد الاطباء النفسانيين الذين يعودون هيس وكان يخاطب هيس باسم جوردان حتى لا يعلم كاتب الاختزال الذى يسجل حديثهما شخصيته .

ولقد وقف لورد بيفربروك الى جانب تشرشل أكثر من أى شخص آخر فى وزارة الحرب فهم أصدقاء منذ سنوات عدة . وبالرغم من انهما لم يتفقا باستمرار فى آرائهما ، فان هذه الاختلافات لم تقلل من حرارة صداقتهما ، وعلى ذلك ففى سبتمبر سنة ١٩٤١ كان لورد بيفربروك هو الشخص الذى وقع عليه الاختيار لمقابلة هيس . وبعد ذلك نقل الى تشرشل رأيه الشخصى فيه وفى مهمته (أى فى هيس) .

ولقد كانت تقارير الاطباء النفسانيين تشير دائما الى ان هيس شخص غير متزن . مصاب بمرض العظمة . ولكن تشرشل كان يريد اجابة صريحة على سؤاله « هل هيس مجنون أو عاقل ؟ » .

وفى اجتماع هيس وبيفربروك شرح الاول الخطوات التى ادت به الى الطيران لبريطانيا واضاف قائلا انه كان يعتمد على بعض الزعماء البريطانيين من ذوى الميول المعقولة لاعادة النظر فى عدم ضرورة استمرار الحرب ، وعلى أية حال فقد اثبتت الاحداث خطأه ، ولاقى الكثير من المتاعب وقد أصر هيس على عدم اذاعة السبب الحقيقى لمجيئه الى بريطانيا فكان الرد عليه بسيطا وواضحا وهو ، اذا ما علم الشعب البريطانى ـ الذى ضرب بالقنابل وقاسى الحرمان فى كل ما تتطلبه الحياة ـ ان هناك أى احتمال للسلم فان هذه المعرفة سوف تقلل بدرجة كبيرة من رغبته فى الاستمرار فى القتال ، واذا ما كانت مقترحات هيس مجرد مكيدة وأن المانيا تنوى أن تضاعف من هجومها بينما تتوقع بريطانيا عقد صلح فمما لا شك فيه أن بريطانيا سوف تصاب بخسارة جسيمة .

وبالرغم من كل ذلك فقد أصر هيس على أنه أتى ليباحث فى عقد صلح مع بريطانيا وبأية شروط على أن تشترك بريطانيا مع المانيا فى

مهاجمة حليفتها (حليفةالمانيا في ذلك الوقت) روسيا . واضاف قائلا : ان انتصار انجلترا سيكون انتصارا للبولشفيك وانتصار البلشفيك يعني ـ ان عاجلا أو آجلا ـ احتلال روسيا لالمانيا وبقية أوروباولن تتمكن انجلترا حينئذ من وقف هذا الاحتلال .

ولقد علق بيفربروك على ذلك فيما بعد قائلا ان هذه التنبؤات كانت صحيحة تماما وليست بالطبع حماقة رجل مخرف .

وعندما عاد بيفروبروك الى لندن اخبر مستر تشرشل رئيس الوزراء بما دار بينه وبين هيس وعندئذ سأله تشرشل :

هل هو مجنون ؟ ورد لورد بيفربروك : بالطبع لا ، ان هيس يتحدث بعقل ومنطق ، وقد تكون له آراء شاذة في المسائل التي تتعلق بالصحة ولكنه غير مجنون .

وبعد عدة أيام من هذه المقابلة رأس بيفربروك بعثة بريطانية حكومية للتفاهم مع ستالين في موسكو بخصوص الكميات الهائلة من المهمات الحربية التي بعثتها بريطانيا اليها ، ولو كان هيس نجح في مهمته فان كل المهمات كانت ستستعمل بالطبع ضد روسيا ولأدت الى نتائج مريعة .

وخلال مباحثات بيفربروك مع ستالين سأله الزعيم الروسي مرارا عن هيس ورحلته وسببها ولماذا لم يقتل رميا بالرصاص كمجرم حرب نازي ؟ ورد بيفربروك :

ـ نحن لانقتل شخصا رميا بالرصاص في انجلترا ، ولكنه سيقدم للمحاكمة ، ولكن يمكنني أن اقول لك لماذا هو في بريطانيا ، واطلعه على صورة طبق الاصل من حديثه مع هيس الذي اقترح فيه هذا الاخير ان تشترك بريطانيا مع المانيا ضد روسيا .

وأصاب ذلك ستالين بذعر شديد فلو نجحت مهمة هيس لانقلب ميزان الأمور ولتحالفت بريطانيا والمانيا على غزو روسيا ولنجح هذا الغزو وعلى ذلك فلا غرو ان ظلت قصة هيس مسيطرة على تفكير ستالين خلال الحرب ، لقد كان يخشى وقوع مؤامرة ، ومن المحتمل أن تعطي بريطانيا المانيا الحرية لمهاجمة روسيا نفس الحرية التي قدمتها روسيا لألمانيا لمهاجمة بولندا والغرب ، وقد انتقم ستالين من هيس بعد ذلك في نورمبرج

وعندما قابل تشرشل ستالين في موسكو بعد مرور سنتين على ذلك سنة ١٩٤٤ لاحظ رئيس الوزارة البريطانية أن الديكتاتور الروسي مازال يرجع الى مسألة رودلف هيس وعلق ذلك بقوله : لقد دهشت لتمسكه بهذا الموضوع السخيف .

واذا كانت مقترحات هيس قد نجحت وقبل تشرشل الصلح ، لكان النصر في الشرق من نصيب المانيا ، وهزمت روسيا لاول مرة في تاريخها .

ولو هزمت روسيا ، قلب الأخطبوط الشيوعي ، لكان قد قضى عليها قضاء مبرما ، ولتغير وجه التاريخ ، ولأصبحت خريطة العالم مختلفة عما هي عليه اليوم . ولما ظهرت حمى القومية في الشرق بعد الحرب في افريقيا

وفي كوبا . ولاضطر هؤلاء الذين يعطفون على تشيوعيه الى اتباع الطريق الاشتراكي القومي .

اما بالنسبة لتشرشل ، فان استقالته كانت أمرا محتوما . فان هيس اصر على أن هتلر لن يبدأ في بحث شروط الصلح مع تشرشل ، وعلى ذلك فيجب ان يحل محله رئيس وزراء آخر له ميول نازية بالطبع ويعطف على ألمانيا .

وفي هذه الأثناء ماذا كان يحدث في المانيا ؟ ماهي التكهنات والشائعات التي أثارها اختفاء هيس المفاجيء ؟ وكيف تصرف هتلر ازاءها؟

لقد كتب الدكتور بول شميدت الناطق بلسان هتلر ـ فيما بعد يقول : ان هذا الخبر وقع على هتلر وقوع الصاعقة لقد راه الجنرال كيتل يسير في مكتبه غدوا ورواحا ممسكا راسه بيده محاولا التفكير فيما سوف يفعله ويقوله ، واخيرا قرر الفوهرر ـ بعد مرور خمسة أيام ـ مايقول وفي ١٥من مايو عقد اجتماعا خاصا لقواد الجيش أخبرهم فيه انه فوجيء تماما بهرب هيس واعلن أن هذا الاخير يصاب بانفصام في شخصيته بسبب تفكيره في وجود « شعبين من أصل جيرماني واحد يحطم كل منهما الآخر ، كما يعاني من اضطراب نفساني داخلي » .

وتقبل الجنرالات هذه الانباء في صمت . ومن الواضح انهم كانوا يتساءلون وماذا لم يكتشف ان ثاني أهم شخصية في المانيا بهذا الشذوذ الافي هذا الوقت المتأخر ، كما وقع الاختيار على بعض الصحفيين ليتشرواان هيس كان يشكو من مرض في المعدة ، وان هذا هو السبب الحقيقي في أن بورمان كان يقوم بعمله من فترة . والآن جاء دور الصحف الالمانية في الشك في هذه القصة ، وكلما حاول هتلر ايجاد اعذار لها زادت شكوكهم .

ويظهر ان هتلر لم يدرك ذلك ، فقد كان راغبا في منع انتشار أي خبر عن احتمال وجود مباحثات صلح ، تماما مثل تشرشل ، ولنفس الأسباب بالضبط ، نشرت القيادة النازية بيانا خاصا للصحف الالمانية تعلن فيه أن « هيس مصاب بلوثة عقلية أدت به الى التفكير في امكان قيام تفاهم بين انجلترا والمانيا ـ وان الحزب الاشتراكي القومي يأسف لان هذا الرجل المثالي وقع ضحية لهذه اللوثة ، وان هذا الامر لن يكون له أي تأثير على استمرار الحرب التي فرضت على المانيا ، وقد ألقى القبض على الدكتور كارل هوشوفر ، وويل مسرشميت وفراو هيس وآخرين » .

ومن الواضح أن البيان غير صحيح فلم يلق القبض على كارل هوشوفر او مسرشميت أو فراو هيس ، لقد استجوب الاولان والقى القبض على البرخت هوشوفر وطلب منه أن يشرح دوره في المحاولات السابقة للاتصال بممثلي بريطانيا في لشبونة .

اما اعتقال فراو هيس فلم يكن لهذا الخبر أي أساس من الصحة ، وفي الواقع لقد أصدر هتلر تعليماته الشخصية بالا تصادر حاجيات زوجها او تنقل لاي سبب من الأسباب وزيادة على ذلك فقدتقررأن يصرف

لها معاش وزير اسير ، ولكن قبل نشر هذه الاوامر حاول مارتين بورمان ـ الذى خلف هيس وكان حاقدا عليه ـ كل جهده أن يقلل من شأن رئيسه القديم ويكيد لزوجته فقد أمرها أولا بالذهاب الى برلين والسكنى فى المنزل الذى كان يقطنه زوجها بشارع ويلهلمستراس رقم ٦٤ وأن تكتب تحت رقابة مسئولين من الحزب قائمة بأثاث المنزل توضح فيها ما هو خاص بها وما هو ملك للدولة حيث أن هذه الشقة كان يستعملها هيس عندما يأتى الى برلين فى مهام رسمية وكان أثاثها وأغلب محتوياتها ـ حتى الملاعق ـ ملكا للحكومة . ولكن السجاجيد كانت ملكا لهيس وزوجته وقال بورمان لفراو هيس انه يمكنها شراء اثاث حجرة النوم بثمن زهيد « لتذكرى » .

هذا وقد غيرت أسماء المستشفيات والشوارع التى سبق وأطلق عليها اسم هيس فى ألمانيا وسحبت بطاقة هيس من عضوية الحزب ، فلم يكن هتلر يرغب فى أن تثار أى شكوك ولو ضئيلة حول معرفته بالغرض من رحلة هيس أو أنه تجاوز عنها بأى حال من الاحوال .

وكانت الزا هيس عارفة بالجميل تجاه صداقه شخصين وقفا معها فى محنتها هذه أولاهما ايفا براون التى أرسلت لها خطابا شخصيا تطلب منها فيه الاتصال بها فورا اذا ما صادفتها أى متاعب وذلك عن طريق تاجر تعرفانه كلتاهما ، وقالت لها انها تحبها وزوجها أكثر من الكل . وترجوها أن تتصل بها اذا ما ساءت الامور . ففى مقدورها أن تتحدث مع الفوهرر دون أن يعرف بورمان شيئا .

أما الشخص الثانى الذى وقف الى جانبها فصديق قديم . صاحب مصرف متقاعد ، وقد أكد لها هذا الصديق أنه بالرغم من أن كل فرد يعلم كم يكره بورمان هيس الا أنه (أى بورمان) لا يملك السلطة لبيع منزل هيس فى شارع هارنهوسر دون عم هتلر والحصول على اذن منه .

لقد كانت تعليمات الفوهرر المشددة تقضى بعدم مصادرة أو نقل أى شىء يملكه هيس وعدم مضايقة الزا هيس أو أن ترتبك ماليا بأى حال من الاحوال .

وقد اقترحت الزا هيس التبرع بمنزلها لاستعماله كمستشفى لانه كبير عليها وعلى ابنها الطفل ولكن بورمان لم يقبل هذا الوضع وبالرغم من انها كانت تتسلم معاش وزير معتقل كأسير حرب الا انها كانت تشعر أن المنزل كبير عليها وعلى ذلك فقد اغلقته وقررت الرحيل وارسلت كل كتبها الى هندلانج حيث كان لها ولزوجها كوخ صغير فى الجبال على بعد مائة ميل من جنوب غرب ميونخ ، وبعد ذلك رحلت الزا وابنها الى منزل قائد سيارتهما ، وبينما كانت تجمع حاجيات ابنها الصغير اذ به يصر على البحث عن لعبة معينة كان مغرما بها . وأخيرا وبعد البحث المضنى عثرت عليها وكان معلقا بها مفتاح خزانة هيس الخاصة .

وعندما فتحت الزا الخزانة وجدت خطابا معنونا باسمها وكان بداخله نسخة من الخطاب الذى تركه للفوهرر قبل القيام برحلته الى سكوتلندا ، وهنا عرفت الزا السر الذى اخفى بسببه زوجها هذه المدة . فقد كان

متأكدا من أنها سوف تكتشف مكانها يوما ما وحينئذ ستجد المفتاح ولكن بعد ان يكون قد قام برحلته حتى لا تثنيه عنها ٠

ولقد عبر هتلر عن أساه وألمه بسبب تشهيره العلني بصديقه القديم ، فذات مرة قال ٠

« كلنا لنا مقابرنا ، ونشعر بالوحدة أكثر فأكثر ، ولكن يجب علينا أن نتغلب على شعورنا حتى تستمر الحياة فى مجراها الطبيعى ، لقـــد حرمت أنا كذلك من أقرب اثنين الى نفسى بموت دكتور تود وذهاب هيس بعيدا عنى » ٠

وعندما ردت عليه «هذا ماتقول انت الآن ٠ ولكن ماذا تقول صحافتك الرسمية ؟ » وصمتت ، ترى أذهبت بعيدا فى تحدى الفوهرر ؟ ولكنهـا وجدت الراحة فى اجابته ٠

« ألم يكف ماقلته لك ، ولك فقط عن حقيقة شعورى ، ألا يكفيـــك ذلك ؟ »

وقد قال هتلر للكولونيل اوتو سكورزنى الذى أنقذ موسوليني من الاسر بناء على أوامر هتلر بعد أن طلبت ايطاليا عقد صلح فى سبتمبر سنة ١٩٤٣ انه كان سينبذه اذا مافشلت خطة انقاذ موسوليني بنفس الطريقة التى نبذ بها هيس بعد فشل مهمته فى سكوتلندا ٠

كما يؤكد البرخت هوشوفر أن مناقشاته مع هيس تمت بناء على موافقة الفوهرر ويعتقد والده كارل هوشوفر بذلك أيضا وقد قال فى محاكمة نورمبرج ان هتلر أرسل هيس أو بالاصح « ضحى به »

ويرى مؤلف هذا الكتاب أنه من غير المعقول فى ظل هذا النظـام الدكتاتورى الملغم بعملاء الجستابو ألا تصل أية اشارة عن تصرفات هيس من التدريب على الطيران برغم أوامر الفوهرر بمنع زعمـــاء النازى من قيادة الطائرات ، ومن تصميم طائرة مسرشميت خاصة تمكنه من الطيران مسافة بعيدة ، وبها خزان بنزين اضافى حتى لا يحتاج الى وقود فى طريقه مسافة تبلغ ٩٠٠ ميل . الى بورمان الذى كان يحقد عليه أو الى هتلر الذى منعه علنا من الطيران ٠ فبدون علم هتلر نجد أنه يستحيل على هيس القيام بعشرين محاولة للطيران من أوجسبرج ، هذا فضلا عن المحاولتين الفاشلتين للطيران الى سكوتلاندة قبل رحلته الأخيرة فى ١٠ من مايو ٠

وبالاضافة الى كل ذلك فهناك الترتيبات التى نظمها هيس لالتقاط الاشارات اللاسلكية لمساعدته فى رحلته ، وكذلك تقارير النشرات الجوية التى كانت ترسل اليه مباشرة بالتليفون فى منزله وليس بالمطار ٠

واذا كانت كل هذه الترتيبات المعقدة والتدريبات قد قام بها دون علم هتلر فماذا كان يمكن أن يكون مصير كل من عاونه عندما طار بعيدا ؟ ان الرايخ الثالث ما كانت لتأخذه الرحمة على كل من يعارض سياسته أو سياسة زعيمه ، لقد طالب هتلر بموت هيس رميا بالرصاص اذا ما عاد ،

ولكن هذه الكلمات تختلف تماما عن الطريقة التى عامل بهـا الافـراد الذين عاونوه ..

حقا لقد ألقى القبض على بنتش ولكن سرعان ما أفرج عنه ، لقد شاء له حظه العاثر أن يكون بالقرب من هتلر فى الوقت الذى يتطلب تقديم ضحية على وجه السرعة ، فلو أن هيس أرسل ضابطا آخر الى برختسجادن بهذا الخطاب الى الفوهرر ، لكان هو الضحية ـ أما مسرشميت فلم يعاقب اطلاقا ، وكان نصيبه فى هذه الاحداث سلبيا فقد كان جورنج يرى أنه غير مسئول ، ووصلت به الدرجة الى الوعد بالمساعدة اذا ما حاول الفوهرر خلق المتاعب له ، (١) وأخيرا نجد أن فراو هيس لم تعتقل ولم يستجوبها الجستابو كل ما حدث هو أن أحد مساعدى بورمان استجوبها ، ولكن بورمان كان يريد الحصول على منصب زوجها ، ولذلك فقد كانت معاملته لها مبعثها الجشع والحقد ، وسرعان ما جاء هتلر لمساعدتها وكانت تتسلم معاش وزير أسير .

وعلى ذلك نرى أنه يبدو من المؤكد أن الشىء الوحيد الهام الذى لم يكن يعلمه هتلر عن بعثة هيس هو ميعاد قيامه بها ، أما ماعدا ذلك فقد كان يعلمه تماما وبموافقته .

وسواء أكان هتلر يعلم بطيران هيس أم لا ، وسواء أكان هيس مجنونا كما أعلن هتلر أم عاقلا كما أكد كل من عرفه . فان تشرشل لم يكن ينوى القيام بمباحثات صلح مع ألمانيا .

وعلى ذلك فقد كان من الضرورى ألا يظهر فى بريطانيا ما قد يسمى « حزب الصلح » معارضا سياسة تشرشل التى تعبىء كل الامكـانيات للاستمرار فى الحرب لنهاية . كما كان من الضرورى كذلك أن يقلل من أهمية رحلة هيس ويقوم بأكبر قدر ممكن من الدعاية ضد النظر اليها بطريقة جدية .

---

(١) من حديث مع البروفسور ويلى مسرشميت Wily Messerchmitt فى فرانكورتر نوبرس Frankfurter Neue Presse فى مايو سنة ١٩٤٧ .

الفصل الثانى عشر

الفشل

بعد مقابلةهيس لورد بيفربروك استمر الاول لعدة شهور فى ميتشت حتى يونيو عام ١٩٤٢ الى أن نقل الى ابرجافنى جنوب ويلز Wales

وفى خلال وجوده فى ميتشت كثيرا ما أشار بسرور الى أن أدوات تناول الطعام التى يستعملها تحمل الشعار الملكى ، وكان يشعر أن هذا تقدير خاص من الملك له نظرا لأهميته ، ولم يكن يدرى أن كل ادوات وممتلكات وزارة الحربية تحمل هذا الشعار • كما أنه شعر كذلك أن وجود هؤلاء الحراس الذين يمثلون صفوة الجيش البريطانى معه ، ما هو فى الواقع الا تحية مستمرة لمكانته وتكريما له •

ثم نقل هيس الى ابرجافنى أو بالاصح الى مستشفى فى ضواحيها حيث أمضى أربع السنوات التالية حتى اكتوبر سنة ١٩٤٥ ، حيث طار الى نورمبرج لمحاكمته مع مجموعة من زعماء النـــازى الذين لم يقتلوا أو ينتحروا •

وبالرغم من أن هيس كان مسموحا له بالتحدث مع أطبائه وبزيارات السفير السويسرى فى المناسبات كممثل للدولة التى ترعى مصالحه ، وليتاكد من تنفيذ نصوص اتفاقية الصليب الاحمر الدولية ، فلم يكن مع هيس أى شخص من بلده ألمانيا ، وبذلك أصـــبح فى الواقع فى سجن انفرادى . وكثيرا ما كان يجلس وحيدا مع أفكاره وذكرياته عن الحلم الذى فشل فى تحقيقه •

وكان هيس يشعر بالاعتراف بالجميل نحـو أى فرد فى صحبته ، وكثيرا ما كان يسير فى الحديقة حتى نهاية الاسلاك الموضوعة بها ويتحدث مع الابنة الصغيرة لاحد أطبائه النفسيين ويدعى الدكتور اليس جونز وكثيرا ما تحدث لوقت طويل مع الدكتور جونز نفسه ، وكان موضوع حديثهما يختلف من وقت لآخر ، ويشمل موضوعات عديدة فمثلا موضوع احتمال اكتساح الشيوعية للعالم بعد انتهاء الحرب ، ومستقبل طوائف الفجر ومدى قوة المنومين المغناطيسيين على مرضاهم •

وكان السفير السويسرى يقدم لهيس سيجارا فاخرا فى كل مرة يزوره فيها ، وبالرغم من أن هيس لم يكن يدخن فقد كان يقبل الهدية شاكرا ويشمها كخبير فى شرب السيجار ثم يضعها بحرص فى جيب سترته وعند انتهاء زيارة السفير كان ينتظر زيارة الدكتور جونز المعتادة ويقدمها له كهدية منه •

وكثيرا ما بحث هيس مع الدكتور جونز ما يشعر به من خطر عظيم يواجه أوروبا اذا ما تحطمت ألمانيا النازية . لقد كان متأكدا من زحف التيار الشيوعى على العالم بعد الحرب وكونه قوة سياسية ذات اثر فعال .

وبالرغم من أنه كان يشعر بالكآبة كثيرا الا أنه تحمل سجنه بعزة نفس وكرامة وكان يراسل زوجته بانتظام ويتسلم منها الرسائل ردا على ما يكتبه لها .

وخلال مدة أسره لم يتخل عن طبيعته الحذرة ومكره ، فقد كان يعلم أن خطاباته لزوجته خاضعة للرقابة ، وعلى ذلك فقد كان يعمل نسخة اضافية من كل رسالة ويبعثها مع الخطاب التالى ويظهر أن الرقيب لم يتعب نفسه بقراءة هذه النسخ الاضافية ، وبهذه الطريقة تمكن هيس من اخبار زوجته بتفصيلات معينة عن مكان اعتقاله .

وقد ساعد فشل مهمه هيس فى اعتقاده بأنه ضحية مؤامرة يهودية ، فأعلن ان اليهود لديهم « قوة ما » للتأثير على الناس بالتنويم المغناطيسى ، دون أن يشعروا بها ، وانه أثناء وقوعهم تحت تأثير التنويم ، يقوم اليهود بتوجيه افعالهم المنكرة الضارة ، وقرب نهـــاية الحرب ــ وبالتحديد فى ٥ من فبراير سنة ١٩٤٥ ــ أعد هيس قائمة بأسماء الافراد الذين تأكد من أنهم يخضعون لهذه القوة المغناطيسية ، وتشمل هـــذه القائمة وينستون تشرشل ، وانتونى ايدن ، وملك ايطاليا والجنرال فون باولوس وحتى هيس نفسه .

وبعد اعداد هذه القائمة طلب هيس مدية ليقطع لنفسه بعض الخبز ، وقد صدقه الحراس واحضروها له فأخذها فى حجرة نومه وأغلق الباب ، ثم خلع ملابسه وارتدى ملابس القوات الجوية وطعن نفسه فى الصدر .

لماذا قام هيس بمحاولة الانتحار هذه بعد أن تحمل الاعتقال بصبر وكبرياء مدة أربع سنوات ؟؟ لقد شرح ذلك بقوله : انه متأكد من أنه لن يسمح له بمغادرة بريطانيا كما ان النهاية أصبحت واضحة ، فقـــد خسرت ألمانيا الحرب ، وهذا يعنى أن الشيوعيين سيقبضون على زمام الامور فى بلاده ، كما ستحكمها فرنسا وبريطانيا ، وبعد ذلك ظهر عليه الهدوء والراحة لانه أبدى احتجاجه على هذه النهاية بطريقة ما ..

والآن فهو ينتظر ما تسفر عنه الاحداث التى لا يمكنه أن يتحكم فيها أو يؤثر عليها .

وقد أحضر له السفير السويسرى عدة كتب ألمانية كان يقرؤها بلهفة بحثا عن السلوى والعزاء ــ وفى خلال اقامته فى ابرجافنى أعد بيانا عن المعاملة التى لاقاها منذ وصوله اسكوتلاندا ، ويظهر من هذا البيان بوضوح مدى تأثير أسره عليه وشعوره بالفشل وعلى ما كان يحس به ويتخيله من اضطهاد وظلم وقد جاء بهذا البيان :

« كثيرا ما كانوا يوقظوننى فى ميتشت ويسلطون أضواء قوية على وجهى بحجة التأكد من أنى مازلت على قيد الحياة ، وكانوا يقدمون لى طعاما

وشرابا لا يقبله الآخرون ، وقد نسيت مرة وتذوقت اللبن الذى أعدوه لى وبعد فترة قصيرة أصبت بدوار شديد وشعرت بصداع مميت وفقدت الرؤية ، ثم زاد اضطرابى ، وبعد عدة ساعات شعرت بحالة من الانقباض والضعف ، وبعد ذلك نتت أخذ اللبن والجبن يوميا الى حجرتى لاخدعهم واجعلهم يعتقدون اننى قد تناولته ٠

أما الاشخاص المحيطون بى فقد كانوا يسألوننى أسئلة عجيبة حول ماضى حياتى وكانت اجاباتى الصحيحة تسبب لهم الضيق ، وعلى أية حال فان تظاهرى بفقدان الذاكرة ارضاهم ، وقد وصلت أخيرا الى حالة يظهر منها أننى لا أتذكر ما حدث من أسابيع قلائل ، وكانوا يقومون بأعمال وتصرفات ، الهدف منها تحطيم أعصابى ، وكنت أرفض تناول الحبوب والادوية التى يقدمونها لى ٠ ولم يسمحوا لى بقراءة كتب المانية ، ومن آن لآخر كنت أتسلم منهم قليلا من الكتب البريطانية ، وقد أعطونى مرة رواية انجليزية تدور حوادثها عن طفل فى مثل عمر ابنى ٠

وكانت كل صفحة من هذه الرواية تذكرنى بابنى وكان على أن أتذكر باستمرار بأنه لا يوجد أدنى أمل فى رؤيته ثانية ، واذا ما سمح لى برؤيته فانه سيعلم أن أباه أصبح مجنونا دون أن يدرى ٠٠

وفى نوفمبر سنة ١٩٤١ اتصلت بالسفير السويسرى فى لندن وطلبت منه أن يزورنى كممثل للدولة التى ترعى مصالح المانيا ٠

وما أن أرسلت له الخطاب حتى كانوا يضعون فى كميات ضخمة من الادوية التى تؤثر فى الذاكرة فى الطعام حتى يحطموا ذاكرتى ، ولكنى خدعتهم مرة ثانية وذلك بالتظاهر بفقدان الذاكرة تماما ، وبعد أن تأكدوا من ذلك جاء السفير ٠

وبعد زيارة السفير كانوا يقدمون لى يوميا جرعة من هذه الادوية لمدة ثمانية أسابيع ٠

وفى احدى المرات سألنى الطبيب اذا كنت أشكو فيما مضى من مرض معين وحرصت على أن أقول له أن احدى كليتى تؤلمنى وعلى ذلك فاننى أتناول طعاما به كمية بسيطة من الملح وبدون توابل ، وبعد ذلك كانوا يضعون فى كميات كبيرة من الملح فى الطعام لدرجة أن الممرضات اللاتى طلبت منهن تذوقه ، قالوا انه لا يمكن تناوله لكثرة الملح مع أنهن يتناولن طعاما ، به كثير من التوابل ٠٠٠ وكانت كل شكوای تذهب ادراج الرياح ٠

وكانوا يقدمون لى خبزا غير ناضج ولحما جامدا لا يمكن مضغه ، وبالاختصار كان الطعام رديئا بدرجة بشعة واذا شاركنى احد الضباط المكلفين بحراستى أو احد الاطباء هذا الطعام فانه لا يكون راضيا ، وكان لا يأكل الا كميات بسيطة واشك فى أنه كان يكمل غذاءه بعد ذلك من أطباق أخرى ٠

وفى ٢٦ من نوفمبر سنة ١٩٤٤ سألت السفير السويسرى أن يطلب لى أجازة فى سويسرا لاستعادة صحتى وكنت أرغب فى أن أعرض نفسى على

الاخصائيين هناك ، وكانت تقارير الاطباء النفسيين تشـــير الى ان تغيير الجو أو صدمة مقابلة عائلتى مرة ثانية قد تعيد لى الذاكرة ٠

وكنت أتعهد لهم بشرفى أن أعود الى انجلترا فى أى وقت يرغبون فيه ، ولكن السفير قال لى عندما عاد لزيارتى فى ٢٠ من ديسمبر أنه من المستحيل القيام بهذه الاجازة لبعض الاعتبارات الهامه ٠

٠ وكان على أن أعترف لنفسى أنه بعد التظاهر لمدة عام ونصف عام بفقدان الذاكرة يكون الاستمرار فى ذلك أمرا سخيفا وعديم الفائدة ، وعلى ذلك قررت أن أتكلم بصراحة مع الطبيب النفسانى لارى كيف يكون رد الفعل عليه ، ولم يستطع أن يخفى دهشته لاستعادتى ذاكرتى تماما بهذه الصورة المفاجئة ٠

وبعدظهر ١٠ من اكتوبر سنة ١٩٤٥ ركبهيس أول طائرةمنذ وصوله الى سكوتلندا لقد طار عائدا الى المانيا ، هذه الرحلة التى كان يأمل القيام بها بعد وصوله بساعات فى سنة ١٩٤١ ، لقد طار الى نورمبرج وبصحبته الدكتور اليس جونز ٠

وكان يظن أن مدة سجنه فى بريطانيا قد انتهت وسوف يطلق سراحه بعد المحاكمة أو انه نظرا لحالته الصحية وما ينتابه من فقدان الذاكرة يعتبر غير صالح للمحاكمه ومن ثم يطلق سراحه ٠

وبينما كانت الطائرة تحلق فوق أرض المطار نظر هيس من شباك الطائرة المجـــاور له وعرف نورمبرج والتفت الى الدكتور جونز وقال : « حسنا يا جونز ، أنا لا أدرى ما سوف يحدث لى ولكنى سأقول لك هذه النبوءة وسوف تحقق الايام صحتها ، فى مدة عشر سنوات من الآن سترى بريطانيا ان كل ما قلته ضد الشيوعية كان صحيحا وستكون وقتئذ هى العدو لها »

الفصل الثالث عشر
محاكمة نورمبرج

كانت نورمبرج فى سنة ١٩٤٥ مدينة حطم وخراب ، كانت مقبرة تشير الى موت الرايخ الثالث ، وأثرا يبين سخافة الحرب وعدم فائدتها ، لقد كانت احدى مدن أوروبا القليلة الباقية من مدن العصور الوسطى ذات الاسوار والمنازل ذات السقف الهرمى والمبانى التاريخية الرائعة ولكن هتلر اقام بها مصانع للآلات الحربية ، وامطرتها قوات سلاح الطيران الملكى البريطانى بالقنابل دون رحمة ، فحطمتها وازالت مبانيها ودفن الآلاف من أهلها تحت الانقاض ، وانتشرت رائحة الموت والدمار فى كل انحائها .

وقد أعيد بناء قصر العدل فيها لمحاكمة زعماء النازية الذين لم يتمكنوا من الهرب أو الانتحار .

وطلب محامى هيس الدكتور فون روهرشيت Dr. Von Rohrscheidt استشارة هيئة معينة من الاخصائيين من كليه طب جامعة زيوريخ بلوزان فى حاله هيس لمعرفة ما اذا كان قادرا على الوقوف أمام المحكمة أم لا ، وقد رفض هذا الطلب ولكن مما لا شك فيه أنه سبق لاطباء من ذوى الخبرة والكفاية فحص هيس فقد وصل ثلاثة اطباء من لندن فى يوم ١٩ نوفمبر وهم لورد موران طبيب تشرشل الخاص ، والدكتور ريز Dr. Rees المستشار النفسانى للجيش البريطانى والدكتور جورج ريدوك Dr. George Riddock طبيب الامراض العصبية الاستشارى فى الجيش ومدير علم الاعصاب فى مستشفى لندن ـ وبعد فحصه قرروا انهم وصلوا الى أن هيس :

أولا : لا توجد به مميزات جثمانية شاذة .

ثانيا : حالته العقلية من نوع مختلط ، مشوش التفكير وغير متزن والدليل على ذلك ما كان يتوهمه دائما فى السنوات الاربع الاخيرة أثناء اعتقاله فى انجلترا من محاولات قتله بالسم وتصورات أخرى مشابهة .

وبسبب فشله فى مهمته ازدادت حالته سوءا ، وقد أدى ذلك الى قيامه بعدة محاولات للانتحار ، وبالاضافة الى ذلك فقد ذاكرته عدة مرات من نوفمبر سنة ١٩٤٣ الى يونيو سنة ١٩٤٤ وقاوم كل الجهود التى بذلت لعلاجه ، كما فقد ذاكرته مرة ثانية فى فبراير سنة ١٩٤٥ واستمرت

هذه الحالة الى الان وسوف تزول هذه الاعراض الهستيرية عندما تتغير الظروف ٠

ثالثا : وهو حاليا غير مجنون بمعنى الكلمة ، وفقدانه ذاكرته لن يتدخل مطلقا مع ادراكه وفهمه للمحاكمة ولكنه سوف يؤثر على مقدرته فى الدفاع عن نفسه وتذكر تفاصيل الماضى ٠٠

رابعا : واذا ما قررت المحكمة محاكمته فيجب أن ينظر الى الامر على أساس نفسانى (*) ٠

وقد صرح الاطباء النفسانيون الامريكيون بما يلى : « يعانى هيس من الهيستريا ويظهر ذلك فى حالة فقدانه الذاكرة ولا تأثير لذلك على فهمه وتقديره لكل ما يدور فى المحاكمه ، ولكنه سوف يؤثر فى رده على الاسئلة التى ترجع الى ماضيه ، وفى قدرته على الدفاع عن نفسه ٠

وهو يبالغ فى التظاهر بفقدان الذاكرة ونحن نعتقد أنه يتخذ من تصرفه هذا سلاحا للدفاع عن نفسه بالنسبة للظروف التى وجد بها فى انجلترا ٠

ونحن نرى أن رودلف هيس ليس مجنونا بمعنى الكلمة فى الوقت الحالى ٠

وكان تقدير رجال الطب الروس أكثر صراحة ووضوحا « ان رودلف هيس لم يكن يعانى أى نوع من أنواع الجنون قبل طيرانه الى انجلترا ، كما أنه لا يعانى من هذا المرض الآن ، وهو يظهر هذا السلوك الهستيرى فى الوقت الحالى ولكن ذلك لن يعفيه من المسئولية فى اقامة الدعوى ضده ٠

وعلى ذلك فقد تبددت كل الشكوك حول مقدرته على الوقوف أمام المحكمة وبدأت المحكمة الدولية فى نورمبرج صباح الثلاثاء ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٥ فى محاكمة رودلف هيس وتسعة عشر زعيما نازيا آخرين بما فيهم جورنج وفون رويبنتروب والادميرال دونيتز ٠

وكانت أطول محاكمه فى التاريخ ، واستمرت ٢١٧ يوما ، وقدمت فيها ثلاثة ملايين وثيقة فى ٤٠٣ جلسة ٠

وكانت التهم الرئيسية التى حوكم بسببها ٢١ سجينا هى :

(١) التآمر أو المشاركة او التواطؤ كزعماء لحزب النازى فى اقتراف جريمة ضد السلم والقيام بجرائم خاصة ضد السلم وذلك بوضع الخطط والاعداد والبدء فى شن حرب عدوانية ضد عدد من الدول ٠

(٢) جرائم حرب ــ ويتضمن ذلك الاغتيال ، وقتل الاسرى وسوء معاملة أسرى الحرب ٠

(*) من كتاب حالة رودلف هيس

(٣) جرائم ضد الانسانيه . ويتضمن ذلك القتل والابادة والاستعباد والتشريد والاضطهاد السياسى والعنصرى والدينى .

ومنذ أكتوبر سنة ١٩٤٣ أعد الحلفاء « جرائم الحرب » ومهمتها تجميع الادلة للاستعداد لاقامة دعوى ضد زعماء النازى ، وبعد تسليم الالمان تقابل الخبراء القانونيون من كل من بريطانيا وامريكا وروسيا وفرنسا فى لندن لاقامة « محكمه عسكرية دوليه » لمحاكمة مجرمى الحرب الاصليين طبقا للقانون الدولى . ولم يكن من حق أى من مجرمى الحرب أن يعترض على المحكمة ، وزيادة على ذلك فقد كان من مبادىء المحكمة الاساسية انه بالرغم من ان أية جريمة قد تكون اقترفت بناء على أوامر عليا فان ذلك لن يعفى من المسئولية من قام بها ولكنه قد يخفف منها .

وقد تمكن أربعة من زعماء النازى من الافلات من المحاكمة بانتحارهم، وهم : هتلر وجوبلز وى Ley وهيملر ، فقد انتحر هتلر وعشيقته ايفا براون فى برلين فى ٣٠ ابريل سنة ١٩٤٥ واحرقت جثتاهما بالبترول ، وبعد ذلك بيومين قام جوبلز زعيم جهاز الدعاية النازية البالغ من العمر ٤٨ عاما بسم أولاده وقتل زوجته بالرصاص ثم انتحر قبل أن تقع برلين فى أيدى الحلفاء ، أما هيملر زعيم الجستابوفقدم نفسه أثناء استجوابه فى لونبرج Luneberg فى ٢١ مايو ١٩٤٥ وقد قيل أن مارتن بورمان ـ الرجل الذى خلف هيس وكان مع هتلر وقت انتحاره ـ قتل أثناء محاولته الهرب فى دبابة أثناء دخول الروس برلين .

وفى ٢٥ أكتوبر وقبل بدء المحاكمة بشهر شنق روبرت لى ـ الزعيم العمالى لهتلر ـ نفسه فى زنزانته .

وكان هيس أهم زعيم من الماثلين أمام المحكمة من زعماء النازى الواحد والعشرين وقد تركت السنين التى قضاها فى الاعتقال فى انجلترا آثارها عليه ، وعلى وجهه الشاحب وفقد كثيرا من شعره وبدت عيناه غائرتين وفقد الكثير من وزنه . وفى أثناء المحاكمه بدا كأنه بعيد عن اجراءاتها ولا دخل له فيها فى حين كان زعماء النازى الآخرون فى حالة عصبية ـ كما لو كانوا يعرفون مصيرهم ، وكان هيس يحملق حوله كما لو كان لايدرى سببا لوجوده فى هـذا المكان ، واستمر فى التظاهر بفقدان الذاكرة وكان يرد على مستجوبيه ببساطة عندما يعرضون عليه صور هتلر وجورنج وزعماء النازى الآخرين : « أنا لا أذكر شيئا ، لا يمكننى أن أذكر » وحتى عندما واجه جورنج وفون بابن أصر على أنه لا يعرفهما ، واستمر فى الادعاء بانهم يسمونه ويرفض تناول الطعام ما لم يتذوقه شخص آخر فى وجوده . وقد أصر محاميه الدكتور فون روهر شيد Dr. Von Rohrcheidt على أن موكله غير قادر على المثول أمام المحكمة ، ودلل على ذلك بقوله انه لا يبدو قادرا على أن يتذكر الكثير عن زوجته وابنه ، انه لم يطالب حتى برؤيتهما .

وكان ذلك حقيقة ولكنه لم يكن بسبب الجنون ، لقد رفض رؤيتها كما شرح المسألة لزوجته فى خطابات لها ، قد كيف حياته كسجين ، واذا

ما شاهد زوجته أو ابنه فى الفترة القصيرة المسموح فيها بالزيارة فسوف تنهار مقاومته ويتحطم ويصبح غير قادر على تحمل الاسر والاعتقال ٠

وفى أثناء المحاكمة ، كان يتصرف نائب الفوهرر بطريقة تضايق منها جورنج وزعماء النازى الآخرون الذين كانوا يظنون ان هذه المحاكمه يجب أن تدار فى جو من العزة والكرامه يتناسب مع مراكزهم كقادة وزعماء دوليين ٠

ففى اليوم الاول من المحاكمه ، تجاهل هيس تماما كل من يحيط به ، من الناس الموجودين حوله ، والقضاة والمحامين وحتى زملائه فى قفص الاتهام ، لقد تمدد على كرسيه وخلع السماعات وأغمض عينيه وبدا كأنه نائم ، وفى اليوم الثانى اظهر اهتماما بسيطا لعدة لحظات عندما ذكر شرحا لنظام الحزب النازى ، وكان اسمه بارزا ، ثم سرعان ما عاد الى جموده أكثر من الاول ، انه لم يكن يقدر سلطة المحكمه ؛ وكانت هذه هى طريقته ؛ فى اظهار احتقاره لها ٠

وفى صباح اليوم الثالث من المحكمة أظهر هذا الشعور باحضاره رواية عند مثوله فى قفص الاتهام ، وكان يمضى معظم الوقت فى القراءة رغم تعنيف جورنج له وقوله « انك تشيننا » وحتى عندما كان اسمه موضع الحديث لم يظهر هيس أى اهتمام ٠

وكان لمحاميه رأى آخر فى تصرفاته فقد صرح بأن هيس لا يعير المحكمه أى اهتمام لانه متأكد من أن حكمها سيكون باعدام جميع زعماء حزب النازى ، ولذلك فقد فضل أن يسلى نفسه بالقراءة ٠

وفى ٣٠ نوفمبر كانت المحكمه تعرض فيلما عن فظائع النازى فى معسكرات الاعتقال وظهر تأثر الكل ـ حتى الدفاع ـ به ، ولكن هيس كان الشخص الوحيد الذى استغرق فى القراءة ولم ينظر الى الشاشة ولو للحظة خاطفة ٠

ووقف محاميه وطالب أولا ببطلان محاكمة هيس فى الوقت الحالى وبصفة احتياطية فى حالة موافقة المحكمة على عدم امكانه الدفاع عن نفسه فانه يطلب منها عدم السير فى الدعوى فى غياب موكله ، أما اذا اعتبرت المحكمة انه صالح للمثول أمامها فانه فى هذه الحالة يطلب استشارة خبير فى هذا الصدد ٠

ودارت مناقشات حول هذا الموضوع بين محامى هيس وبين المحكمة ، وأخيرا وجه رئيس المحكمة الكلام للدكتور روهرشيدت Dr. Rohrscheidt « ان المحكمة ترى أن تسمع رأى المتهم هيس فى هذا الامر هل هو قادر على مواصلة المثول أمامها أم لا ؟ » ٠

وعند ذكر هذه الكلمات ظهر تغيير واضح على حالة هيس فقام من كرسيه وبدا عليه بعض لفته بنفسه كأنه بحضر اجتماعات النازى وأسرع متوجها الى الميكروفون الموجود فى صدر المحكمه وأخرج طرفا قديما من جيب سترته وأخذ فى قراءة بعض ملاحظات مدونة عليه ٠

سيدى الرئيس – أود أن أقول انه فى بداية هذه المحاكمة بعد ظهر اليوم أعطيت الدفاع عنى مذكرة بأن هذه الاجراءات ممكن اختصارها اذا سمح لى بالكلام شخصيا وان ما أقوله هو انني ضع حدا لمناقشة اى احتمال عن عدم امكانى حضور هذه المحاكمة ولو انى أود الاشتراك فيها – أعلن تصريحا كنت أود ألا أدلى به الا فى النهاية .. ان ذاكرتى الآن فى حالة طبيعية والاسباب التى من أجلها تظاهرت بفقدان الذاكرة كانت أسبابا سياسية .. وكل ما فى الامر أن قوة التركيز على الاشياء عندى ضعفت قليلا ولكن قدرتى على متابعة المحاكمة ، وعلى الدفاع عن نفسى وعلى توجيه الاسئلة للشهود وعلى الاجابة عن الاسئلة التى توجه لى لم تتاثر بذلك .

وانني اؤكد الحقيقة التالية وهى انني أتحمل المسئولية الكاملة عن كل شىء فعلته أو وقعت عليه او اشتركت مع غيرى فى التوقيع عليه .

وعلى ذلك فانني فى محادثاتى مع المحامى المكلف بالدفاع عنى قد تظاهرت بفقدان الذاكرة ، ولهذا السبب فانه أكد للمحكمة انى فقدت ذاكرتى .

ولم يجد رئيس المحكمة ردا على هذا البيان سوى اعلان تأجيل الجلسة وأغلق هيس خطابه وعاد الى مكانه فى قفص الاتهام وهو يبتسم بتهكم بينما ساد الهرج والمرج قاعة الجلسة .

وبعد هذا البيان الذى القاه هيس فى قاعة المحكمة كان الاطبـــاء النفسانيون من خمس دول مثار السخريه . وأضاف هيس بتواضع أن الامر كله ليس ذا أهمية حيث أنه يتوقع الحكم عليه بالاعدام على أية حال .

وبعد مضى أربعة أيام على هذا الاعتراف أعلنت المحكمة قرارها فى هذا الشأن فقال رئيس المحكمة :

« لقد بحثت المحكمة كل التقارير الطبية بخصوص حالة هيس وترى انه لا يوجد أى اساس لاعادة بحث هذه الحالة .

وترى المحكمة أن المدعى عليه هيس قادر على المثول أمامها وعلى ذلك يرفض طلب محامى الدفاع » .

واذن فقد قضى نهائيا على أسطورة اختلال عقل هيس التى بدأها هتلر بناء على اقتراح هيس نفسه ، وسار تشرشل على نهجه فى محاولته التقليل من أهمية بعثة هيس .

وفى ٧ فبراير سنة ١٩٤٦ بدأ الحلفاء قضيتهم ضد نائب الفوهرر .

وافتتـــح مستر مرفين جريفث جونز Mr. Mervyn Griffith Jones القضية البريطانية ، وقال انه كان ينوى أساسا اثبات جرم هيس بواسطة وثائق أمكن الحصول عليها وتظهر مسئوليته الفردية فيها ، ولكن الجرائم نظمت بطريقة أن كل من كانت له السلطة لا بد وأن يعرف هذه الجرائم .

وأعلن أن هيس اشترك اشتراكا فعليا فى الاستعداد للعدوان على النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا وقال ان من بين الوثائق التى تحمل

توقيع هيس والتى أمكن العثور عليها فى ألمانيا الكثير الذى ينص على توقيع عقوبات بسبب الاعتداء على الدوله (الرايخ الثالث) ، وقوانين نورمبرج ضد اليهود ، والقانون الذى يقضى بتطبيق هذه القوانين فى النمسا ، كما أن هيس كان الرئيس الاعلى لمنظمات الالمان فى الخارج وهى التى تشكل أساس الطابور الخامس الالمانى .

وقال مستر جريفث جونز أن بين يديه الآن نسخة من بيان مستر انتونى ايدن الذى القاه فى البرلمان فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤٣ وذكر فيه أن هيس يدعى أنه جاء الى بريطانيا فى « بعثة انسانية » انه كان مفوضا فى عرض سته اقتراحات تبين منها لأول وهلة انها كانت بناء على تعليمات الفوهرر ، ثم أضاف ، وقد تضمنت هذه الاقتراحات تهديدا وهو ـ انه اذا تم غزو بريطانيا واستمرت حكومة تشرشل فى خطتها باستمرار القتال من كندا فان الشعب البريطانى سيتضور جوعا ـ وصرح مستر جونز أيضا انه فى الوقت نفسه الذى كان يقدم فيه هيس هذه الاقتراحات كان يعلم مقدما بخطة باربا روسا (الغزو الالمانى لروسيا) .

وكانت الوثيقة الاولى التى أشار اليهـا بالتفصيل هى تقرير دوق هاملتون عن مقابلته مع هيس .

كما قدم مستر جونز كذلك محضرا رسميا للمباحثات بين روبنتروب وموسوليني فى روما فى ١٣ مايو سنة ١٩٤١ ، أى بعد طيران هيس لبريطانيا بثلاثة أيام ، تبين منه أن هتلر أرسل روبنتروب للدوتشى ليخبره بحادث هيس ويبلغه انه فوجىء به ووصف روبنتروب هذا العمل بأنه جنونى ، وان الفوهرر قد جرد هيس من ألقابه وانه سوف يقتله رميا بالرصاص اذا عاد لالمانيا ، ثم استطرد قائلا ان هيس كان يعانى من مدة مرض الصفراء ووقع فى أيدى منومين مغناطيسيين واطباء العلاج الطبيعى وانه لم يقم بعمله هذا بسبب نقص فى ولائه للفوهرر ، ووافق موسوليني على هذا الرأى .

أما بخصوص طيران هيس لبريطانيا فقد قال مستر جريفيث جونز ان من الصعب أن يرى كيف يرسم خطة هذه الرحلة ويتدرب عليها عدة شهور ويقوم بثلاثة محاولات فاشلة دون أن يدرى أحد .

وقبل أن يبدأ الدفاع عن هيس مرافعته بأيام قليلة وقع حادث للدكتور روهر شيفت وكسرت رجله ، ولم يتمكن من المثول أمام المحكمة فقام محام آخر بالدفاع عن هيس وهو الدكتور الفرد Dr. Alfreid Seidl

وكان الدكتور سيدل يصر على أن هيس يتمتع بكامل قواه العقلية بالمعنى العادى المتعارف عليه ، ولكنه كان يوافق فى الوقت نفسه على أن هيس رجل غريب الاطوار يكثر من التأمل والسكون .

وعندما بدأ الدكتور سيدل دفاعه عنه فى ٢٢ مارس كان هيس مازال يواجه التهم الاربع الاصلية وهى :

١ ـ جرائم الحرب .

٢ ــ جرائم ضد الانسانية .

٣ ــ التآمر .

٤ ــ جرائم ضد السلم .

وكان سيدل واثقا من تبرئة موكله من جرائم الحرب والجرائم ضد الانسانية أما الاتهامات التى كانت تقلقه فهى جرائم التآمر والجرائم ضد السلم ، وكان يبدو أن الامل قليل فى تبرئته منها ولكن سيدل وهو المحامى الواسع الحيلة لم يكن بالرجل الذى يستسلم بسهولة ، وكان يعتقد انه اذا تمكن من الحط من شأن المحكمة ، أو اذا تمكن بطريقة ما من اظهار وجود مؤامرة ضد السلم من جانب عضو أو اكثر من أعضاء الدول الاربع ــ بريطانيا وامريكا وفرنسا وروسيا ــ وهى الدول التى تحاكم المتهمين الالمان ، فقد يستطيع أن يبرىء هيس .

وقد فكر فى هذه المشكلة الصعبة عدة أيام وفجأة وعلى غير انتظار وجد الثغرة التى كان يبحث عنها ، فبعد ظهر أحد الايام بينما كان يستعد لمغادرة موكله بعد مناقشات غير مجدية معه سمع جورنج وروبنتروب يتباحثان فى الفرص الموجودة امامهما وفى نتيجة المحاكمات ، وكان روبنتروب يقول انه عندما كان فى موسكو فى اغسطس سنة ١٩٣٩ لعقد الحلف الالمانى الروسى ، وقع هو ومولوتوف وزير خارجية السوفييت معاهدة سرية لم يعلن عنها شىء مطلقا .

وبالاختصار كانت هذه المعاهدة تحدد مناطق النفوذ فى حالة حدوث اى حرب وعلى خريطة لاوروبا رسم وزير الخارجية السوفيتى خطا على نهرى الفستولا Vistula والبج Bug وهما النهران اللذان يقسمان بولندا ، ثم اتفق الطرفان على أنه اذا قامت الحرب تصبح البلاد الواقعة غرب هذين النهرين ــ مناطق نفوذ المانية والبلاد الواقعة شرقيهما تصبح خاضعة للنفوذ الروسى . وتشمل المنطقة الروسية فنلندا واستونيا ولاتافيا والاجزاء الشرقية من بولندا وبعض مناطق رومانيا وقد أضاف روبنتروب قائلا لجورنج أن الروس أخبروه عند اعتقاله انه اذا لم يذكر امر هذا الحلف السرى فى المحكمة فسوف يسهلون له الامور .

وعلى الفور ادرك سيدل الاهمية الخطيرة لهذه المحادثة ، وكيف يمكن تحويلها لمصلحة هيس فبعد العدوان الالمانى الروسى ضد لتوانيا ولاتافيا واستونيا فى يونيو ١٩٤٠ انكرت كل من المانيا وروسيا وجود اى معاهدة بينهما بخصوص هذه الحدود سوى معاهدة ٢٣ اغسطس سنة ١٩٣٩ ومعاهدة صداقة أخرى وقعت فى ٢٠ سبتمبر من نفس العام ورغما عن ذلك فقد كانت الاشاعات تؤكد وجود اتفاق سرى آخر بين الطرفين ، والآن تحقق سيدل من ذلك .

كيف يتمكن سيدل من اثبات هذه الواقعة ؟ .. وكان يرى ان ستالين متهم بجرائم ضد السلم وبجرائم التآمر مثل اى نازى فى قفص الاتهام .

وعلى الفور بدأ سيدل فى البحث عن أى فرد كان يصاحب روبنتروب

في هذا الاجتماع في موسكو منذ سبع سنوات ليبحث معه اذا كانت هناك اتفاقية اضافية سرية .

وكان ذلك يبدو أمرا صعبا ان لم يكن مستحيلا لا أمل فيه ، فقد اصبحت المانيا بلدا محطما ، هدته الحرب . واصبح على وشك المجاعة ، وكانت مئات الالوف بغير مأوى والمواصلات البريدية غير منظمة ورحلات السكك الحديدية اصبحت متعذرة في اغلب الاحيان وفي مثل هذه الظروف كان يبدو ان مهمة سيدل لن يحالفها النجاح . ولكن يبدو ان سيدل كان رجلا محظوظا كما كان رجلا مجتهدا نشيطا .

فقد قابل محاميا يدعى الدكتور فريدريك جوس Dr. Friedrich Gaus وكان سفيرا في وزارة الخارجية . وصحب روبنتروب في رحلته هذه الى موسكو سنة ١٩٣٩ وسأله سيدل هل كان هناك حلف سري ؟ .. واجاب جوس بالايجاب وقال انه يتذكر ذلك بوضوح . ولكن اين توجد نسخة منه ؟ .. لايدري ؟ .. وقال لسيدل انه على مايعرف فان الملفات الهامة بوزارة الخارجية الالمانية صورت على مايكروفيلم في نهاية الحرب واستولى عليها المسئولون في الولايات المتحدة .

وكان على سيدل ان يحصل على صورة من هذا الحلف . لقد عرف الآن مكانها ولكن الحصول عليها امر غاية في الصعوبة وبالرغم من ذلك فقد داوم وثابر على عمله وكان يعلن نتيجة بحثه لكل من يصادفه ، وكان يتعمد ان يذكر هذا الامر في حضور الضباط الامريكيين .

ومرت الايام ولم يصل الى نتيجة وبدا يشعر بالقلق وفقدان الامل في العثور على هذه الوثيقة ، وفجأة وفي احدى الامسيات بينما كان يتاهب لمغادرة المحكمة كللت مساعيه بنجاح غريب لم يكن يتوقعه .

لقد تقدم منه رجل امريكي يرتدي الملابس العسكرية وسأله بالالمانية هل أنت الفرد سيدل ؟ .. واجاب سيدل بالايجاب .

وعندئذ عرفه الامريكي بنفسه . وقدم له مظروفا مغلقا غير معنون وقال له اظن أن داخل هذا المظروف شيئا كنت تبحث عنه .

واحتار سيدل ولكنه فتح المظروف ، ووجد بداخله نسخة مطبوعة من الاتفاقية التي توصل اليها مولوتوف وروبنتروب في موسكو سنة ١٩٣٩ ونظر سيدل بدهشة ليسأل الامريكي اين وجدها ولكن الرجل كان قد اختفى عن ناظريه .

وفي هذا المساء قرأ سيدل الوثيقة عدة مرات . انها لم تكن صورة فوتوغرافية للاتفاقية ولايوجد عليها اختام او اى علامات رسمية باعتمادها امن المحتمل ان تكون هذه الورقة مجرد ورقة مزيفة كاذبة ؟؟ .

وبحث سيدل مرة ثانية عن الدكتور جوس وعرضها عليه ، وقال له جوس انها تبدو نسخة حقيقية من نفس الحلف . ووقع مختارا على اقرار كتابي شارحا ماحدث في موسكو سنة ١٩٣٩ وشروط ومحتويات هذا الحلف .

وكان سيدل يظن ان السبب فى وصول هذه الوثيقة اليه دهشة السلطات الامريكية العظيمة عند اكتشاف الوثيقة السرية ورغبتهم فى اعلان خديعة الالمان والروس على اكبر عدد ممكن من الناس . وكان سيدل هو الشخص الصالح الذى وقع عليه الاختيار ، فانه يمكنه ببساطة ان يقدمها فى المحكمة ، وعلى ذلك فلاتوجد حاجة تدعو الامريكيين الى اصدار نشرة خاصة عن الموضوع .

وبينما كانت القضية تأخذ مجراها فى المحكمة مافتىء هيس يرددعلى اسماع محاميه انه لايعترف بسلطة المحكمة لمحاكمته ، وكان يتصرف ايضا بطريقة تشعر كل الناس دون شك برايه فى سلطة المحكمة : انه مازال يستمر فى الجلوس وقراءة قصة وينظر بضجر الى سير اجراءات المحاكمة ويتثاءب . وبلغت به الدرجة الى حد الضحك بصوت مرتفع اذا ماوصل الى فقرة مسلية فى الكتاب الذى يقرؤه .

وفى أثناء المحاكمة قرر هيس انه يتحمل المسئولية الكاملة عن الافعال التى قام بها ..

وعند بحث موضوع الحلف السرى بين روسيا والمانيا فى المحكمةاعلن سيدل ان لديه نسخة منه وعندئذ قفز المدعى العمومى السوفيتى الجنرال رومان رودنكو على قدميه ، ولم يكن لديه ادنى فكرة عن وجود نسخة من هذه الاتفاقية السرية . وادرك على الفور خطورة الوثيقة الموجودة بين يدى سيدل وقال الجنرال رودنكو وهو محام خبير أن المحكمة تبحث قضية مجرمى الحرب الالمان وليس السياسة الخارجية للحلفاء . وعلى ذلك رفضت المحكمة بحث هذه الوثيقة ، لقد بحث سيدل عنها وقدمها للمحكمة ولكنه لم يكسب قضيته .

وفى ٥ يوليو قدم سيدل دفاعه الاخير عن هيس فقال :

ان طيران هيس فى ١٠ مايو سنة ١٩٤١ له اهمية عظمى فى هذه المحاكمة وكما هو واضح فان هيس قد قرر رحلته منذ بداية يونيو سنة ١٩٤٠ ــ اى بعد تسليم فرنسا ..

وعندما قابل هيس دوق هاملتون بعد وصوله بريطانيا بيوم واحد أعلن له أنه حضر فى مهمة انسانية ، وفى محادثاتهمع مستر كيركباتريك فى ١٣ و ١٤ و ١٥ مايو شرح له بالتفصيل الدوافع التى اثرت عليه لاتخاذ هذه الخطوة غير العادية ، وقد أخطره فى نفس الوقت بالشروط التى يوافق عليها هتلر لعقد الصلح .

وفى محادثاته مع لورد سيمون اظهر له ان الدافع على رحلته هذه هو الرغبة فى تجنب سفك الدماء وخلق جو طيب لبدء مفاوضات صلح بين البلدين وكانت الشروط التى قدمها الى اللورد سيمون هى :

١ ــ من أجل منع الحروب مستقبلا بين قوات المحور وانجلترا يقترح تحديد مناطق النفوذ ، ومناطق نفوذ قوات المحور هى أوروبا ، ومناطق نفوذ انجلترا هى المستعمرات الامبراطورية .

٢ ــ عودة المستعمرات الالمانية .

٣ ــ تعويض الرعايا الالمان الذين حددت اقامتهم قبل او خلال الحرب فى الامبراطورية البريطانية والذين قاسوا خسائر فى الارواح او الممتلكات نتيجة للاجراءات التى اتخذتها الحكومة ، فى الامبراطورية ، أو بسبب بعض الحوادث مثل النهب والسلب والاضطرابات ... الخ ، وتعويض الرعايا البريطانيين فى المانيا على الاسس نفسها .

٤ ــ عقد هدنة ومعاهدة صلح مع ايطاليا فى الوقت نفسه .

وقد شرح رودلف هيس لكل من مستر كيركباتريك ولورد سيمون ان هذه هى الشروط التى يقبل هتلر على اساسها عقد صلح مع بريطانيا العظمى .

وبالاضافة الى ذلك فان جورنج وفون روبنتروب اكدا ان هذه الشروط التى قدمها هيس الى لورد سيمون تتفق تماما مع آراء هتلر .

واستطرد سيدل قائلا أن تأثير هيس على مجرى الاحداث خلال الحرب قد توقف تماما بطيرانه الى انجلترا ، وما يقال من أن هدفه كان حماية مؤخرة المانيا فى معركتها ضد الاتحاد السوفيتى يتعارض مع الحقيقة التالية وهى أن موكله هيس قد قرر القيام برحلته هذه منذ يونيو سنة ١٩٤٠ ، وبمعنى آخر فى وقت لم يفكر فيه اى فرد فى المانيا فى شن معركة ضد الاتحاد السوفييتى .

ولو انه قدر لهيس النجاح فى مهمته لتغيرت الحالة السياسة والعسكرية فى أوروبا تغيرا جوهريا ولما هاجم الاتحاد السوفيتى المانيا ولما حدث ماتوقعه هتلر من شر .

وعلى ذلك فانه يمكن القول فى النهاية بان مسئولية الاجرام الموجهة الى هيس يمكن تحديدها بأفعال ارتكبت قبل طيرانه الى انجلترا .

وفى يوم ٣١ اغسطس وهو اليوم الـ ٢٦٠ فى المحاكمة نودى على هيس ليقول كلمة أخيرة للدفاع عن نفسه قبل أن ينطق القضاة بالحكم ، وطلب هيس السماح له بالجلوس اثناء الكلام بسبب حالته الصحية ، ووافقت المحكمة . وقال هيس :

ان بعض زملائى هنا يمكنهم أن يؤكدوا هذه الحقيقة وهى انه فى بداية المحاكمة تنبأت بما يلى :

١ ــ سوف يظهر شهود يقولون بيانات كاذبة وفى الوقت نفسه سيكونون قادرين على خلق جو من الثقة المطلقة فيما يقولون .

٢ ــ واعتمادا على ذلك فان المحكمة سوف تتسلم شهادات واقرارات كتابية تحتوى على بيانات غير صحيحة .

٣ ــ سيندهش المدعى عليهم ويفاجأون ببعض الشهود الالمان .

٤ ـ سوف يتصرف بعض المدعى عليهم بطريقة غريبة سيتفوهون بالفاظ وقحة عن الفوهرر وسيتهمون بعضهم البعض خط . وقد يتهمون انفسهم أيضا . وهكذا .

وقد تحققت كل هذه التنبؤات واستطرد هيس قائلا بفخر : لقد قدر لى أن أعمل . لسنوات عدة من عمرى نحت رياسة أعظم ابن انجبته المانيا خلال الف سنة من تاريخها وحتى لو قدر لى أن اعيش فلن أرغب فى محو هذه الفترة من وجودى ، وانني لسعيد لانى أعرف انى ادیت واجبى نحو وطنى ، واجبى كالمانى ، كعضو فى الحزب القومى الاشتراكى كتابع مخلص للفوهرر ، انني لا اندم على اى شيء .

ولو قدر لى أن أبدأ من جديد مرة ثانية فسوف أقوم بنفس الاعمال التى قمت بها . حتى ولو كنت اعلم مقدما انني سأواجه فى النهاية ميتة شنيعة . . لاتهمنى آراء الناس فى ولا اقوالهم ـ فانني سأقف يوما ما امام محكمة سرمدية ، أمام الله ، وسأجيب عليه ، وانا أعلم انه سيحكم لى بالبراءة .

ثم جلس هيس ، لقد قال كلمته أمام الجمهور . .

وفى اول أكتوبر سنة ١٩٤٦ برئ هيس من تهمتين : (١) جرائم الحرب (٢) وجرائم ضد الانسانية . . ولكن بالرغم من مهارة محاميه سيدل فقد أدين بتهمتى التآمر وجرائم ضد السلم .

واصدرت المحكمة حكمها على رودولف هيس بالحبس مدى الحياة

ومنذ عام ١٩٤٧ أصبح هيس السجين رقم (٧) فى سباندو جول Spandau Gaul وكان زملاؤه والترفرانك Walter Frank وارنيك رايدر Erich Raeder والبرت سبير وبالدر فون شيراخ Boldur von Sherath وبارون كونستنتين فون نورات Baron Constantin von Neurath وكارل دونيتز Karl Doenitz

قد اطلق سراحهم واحدا بعد الآخر ولايوجد بالسجن الآن مع هيس سوى البرت سبير وزير حربية هتلر ، وفون شيراخ قائد الشباب . وكلاهما محكوم عليه بالسجن مدة عشرين عاما ، وانهم أن يأملوا فى الحرية يوما ما ـ أما هيس فسوف يبقى فى سجنه حتى يموت ـ او حتى تتفق الدول الاربع على تخفيف الحكم عنه . ويقال ان بريطانيا وامريكا وفرنسا لاترغب فى هذه المهزلة التى تكلفهم غاليا انهم يرغبون فى اعادة النظر فى هذه الاحكام ولكن لن يوافق الروس على ذلك .

وقد رفض هيس باستمرار رؤية زوجته أو ابنه لانه عود نفسه هذا الوضع وتقبل حالته كما هى ، وكما ذكر فى خطاباته لزوجته انه لو شاهد ابا منهما (هى او ابنه ذلك الشاب الذى رآه آخر مرة طفلا عمره اربع سنوات) فسوف تتحطم العزلة التى بناها لنفسه وسيصبح المستقبل غير محتمل اكثر مما هو الآن .

ولايزال هيس يعيش وحيدا فى سجنه لايذكره الا عدد قليل من الناس ، ولكن مما لاشك فيه ان اعظم مهزلة فى هذه القصة الغريبة هى أن

رسول السلام يعيش لهذه المدة الطويلة فى زنزانة فى السجن وان النازى الذى سعى الى انهاء الحرب يحكم عليه باسم جرائم ضد السلم .

ونقد كتب تشرشل فى مذكراته ، عندما تعرض لهذه القصة : اننى أشعر بالرضا لاننى لست مسئولا عن الطريقة التى عومل بها هيس ومازال يعامل بها .

لقد اتى الينا بمحض اختياره . ولو انه لم يكن مفوضا فقد كانت له صفات الرسول ، ان قضيته كانت تستدعى العلاج وليست اجرامية ويجب النظر اليه بهذا المقياس .

(تم بحمد الله)

فهرس

	صفحة
الفصل الاول : طائرة تنحطم فوق سكوتلندا	٣
الفصل الثانى : كابتن هورن المغامر	١٠
الفصل الثالث : هيس ، هوشوفر ، هس	١٧
الفصل الرابع : آمال هوشوفر	٢٦
الفصل الخامس : هيس يستعيد طائرة من طراز مسرشميت	٢٩
الفصل السادس : الحيرة فى برجهوف	٣٨
الفصل السابع : الدودة فى الشرنقة	٥١
الفصل الثامن : حيرة الفوهرر	٥٨
الفصل التاسع : حديث فى قلعة	٦٦
الفصل العاشر : الأطباء النفسانيون فى صحبة هيس	٧٤
الفصل الحادى عشر : تجاهل هيس	٧٧
الفصل الثانى عشر : الفشل	٨٣
الفصل الثالث عشر : محاكمة نورمبرج	٨٧

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبد . روض الفرج

تلفون ٤٠٧٥٣١ / ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ / ٤٠٨١٤